اللغـة العربيـة، وثقافتهـا في الإعـلام
واقــع اللغــة العربيــة في الإعــلام المكتوب

أ.د. محمـد عبد المطلب البكّـاء

كلية الإعـلام– جامعة بغــداد

The IIE/SRF Iraq Scholar Rescue Project

تقـديم

يبالـغ بعض الباحثين،والصحفيين في بيـان فضل الإعلام المكتوب(الصحافة) على اللغـة العربيـة،فـ(الأسلوب السهل المشرق) الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربيـة، لايعود الفضل فيه الى معلمي اللغة العربيـة في المدارس والكليات، ولا يعود الفضل فيه إلى الأدباء القدامى،والكتاب بل أن الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود إلى الإعلام المكتوب(الصحافة) اليوم،وذلك لأنها طوعت اللغة، وجعلتها مرنـة تفي بمتطلبات الحياة العصرية، وتستوعب التطورات العظيمة التي صاحبت النهضة في ميادين الحياة المختلفة، فقد اشاعت ألفاظاً، واستحدثت ألفاظاً جديدة، ومصطلحات، ووسعت من آفاق اللغة، وطورت أساليبها في العلوم والفنون، والإجتماع، والسياسة، فالإعلام، والمكتوب(الصحافة) بشكل خاص قد حققا للغة العربيـة كل ما يأمل فيه المجددون من رجـال اللغة، وكل مانادى به الغيارى على هذه اللغة من وجوب تبسيطها، بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء، ومن وجوب تزويدهـا بالحيويـة الكافية حتى لايضيق بها أحد من القراء، ومن ثم تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد، أو مستحدث في الأدب، والعلم،والفن، جميعاً،إن هذه المقدمة هي منطلق بحثنا الذي سيعنى بدراسة هذا الأمر، ومناقشته،والتيقن من مدى صحتـه عن طريق (تمهيـد)، كان الغرض منه: بيـان العلاقـة بين اللغـة (عامة) والعربيـة خاصـة، والإعـلام.

ومن ثم(المبحث الأول): لغة الإعلام ومستويات التعبير اللغوي في اللغة العربية.

وأخيراً (المبحث الثاني): اشتراطات اللغة التي نريد في إعلامنا المكتوب خاصة، ووسائل الإعلام الأخرى.وفيه أشرت إلى أبرز الآثار السيئة التي تركتها حرية التصرف في التحرير الصحفي؛ من دون مراعاة قواعد اللغـة العربيـة. نسألُ اللهَ سبحانـه أن ينفـع بهذا البحث على قدر ما بُذِّل فيه من جهد، وعليـه سبحانـه قصد السبيل، ومنـه االتوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه.

تمهيـــــد

الإعــلام واللغــة:

الإعلام:" تزويد النـاس بالأخبار الصحيحة،والمعلومات السليمة،والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع،أو مشكلةمن المشكلات،بحيث يعبر هذا الرأي تعبيراً موضوعياعن عقلية الجماهير،واتجاهاتهم،وميولـهم**"(1)**.وعرَّفه العالم الألماني (اوتوجروت) أنـه:**"**التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وروحها وميولـها، واتجاهاتها في نفس الوقت**"(2)**.

إما **اللغـة(language)** فهي مع وضوح أمرها، وجريانها على كل لسان، فقد وجد الدارسون في تعريفها تعريفا دقيقا بعض المشقة والعنت، وانقسموا بهذا الصدد إلى فرق، وطوائف **(3)**. فهي عند أرسطو: **"** نظام لفظي محدد نشأ نتيجة اتفاق بين أفراد المجموعة البشرية في مكان ما**"(4)**. وهي رمز للفكر، وهي فرق بين الإنسان والحيوان، فالنطق والفكر عند أرسطو متلازمان والنطق

خاصة الإنسان، وبدون الكلمات لا يتيسر فكر، ولا علم(5).أما غايتها عنده، فهي: تحقيق الصلات بين الإنسان والإنسان، أومعرفة الإنسان للأشياء، وقد تستخدم كذلك أداة للتربيـة، والمتعة في ناحية خاصة من نواحي النشاط الإنساني(6).

أما نشأتها : "فإنها تنشأ بالتدريج شيئاً فشيئاً، وأنها لاتقع مرة واحدة. وأنها تنمو، وتتسع بأتساع الحاجة والإدراك، وان الألفاظ الأوّل التي نطق بها الإنسان هي الألفاظ المعبرة عن الأشياء القريبة منه، والمحيطة به، التي يدركها نظره.(7).

وحدّها عند علمائنا العرب، قال ابن جني : " **أما حدّها فأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**"(8). وقال ابن الحاجب: "حدُّ اللغة كل لفظ وضع لمعنى"(9).

وقد رأى معظم الباحثين التقليديين:أن اللغة وسيلة إنسانية لتوصيل الأفكار،والانفعالات،والرغبات،عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية. وردد بعض الباحثين: أن اللغة قد تستعمل لإخفاء الفكر،وصارت عبارة (تاليران): "إنَّ اللغة كائنة لتخفي أفكار الإنسان".عبارة مشهورة في الدراسات اللغوية. ثم رأى باحثـون مجددون من أمثال (مالينوفسكي):أنَّ اللغـة جزءٌ من السلوك الإنساني، ونـوع من العمـل، وليس مجرد أداة تعكس الفكر،وأنَّ وظيفتها ليست مجرد وسيلة للتفاهم،أوالتوصيل(10).

وذهب فريق من العلماء إلى تفسير اللغة على أساس نفسي وعقلي، ورأى: أن اللـغة استعمال رمـوز صوتيـة منظمة للتعبير عن الأفكار ونقلها من شخص إلى آخر،ومن مؤيدي هذه المدرسة (سابير) (11).وقيل هي: وسيلة الإتصـال المباشـر بين البشـر عن طـريق الألفاظ،، أو الأصـوات الوضعيـة العرفيـة التي تدل على المعاني،وتختلف باختلاف العصور،والشعوب،وتتأثر اللغة بحضارة الأمة، ونظمها، وتقاليدها،وعقائدها، واتجاهاتها،فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير(12).

ونظر **علماء المجتمع إلى اللغة** باعتبار وظيفتها الاجتماعية، فعرفها العالم الأمريكي (دجار ستيرتفنت) أنها: (نظام من رموز ملفوظة، بواسطتها يتعاون ويتعامل أعضاء المجموعة الاجتماعية المعينة) (13).وقيل هي: وسيلة للتواصل، وتعريفها النفسي هو: "نظام تقليدي من الإشارات المعبرة تعمل سيكولوجيا في الفرد كوسيلة للتحليل والتركيب الإرادي، واجتماعيا كوسيلة للتواصل، وإذَنْ تكون وحدة اللغة في الجملة.."(14).

وقال ابن خلدون من قبل:" اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارةُ المتكلم عن مقصوده،وتلك العبارة فعلٌ لسانيٌ ناشيءٌ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدَّ أن تصير ملكةً متقرّرة في العضو الفاعل لها،وهو اللسان". وأضاف:"اعلم أنَّ اللغات كلها ملكاتٌ شبيهةٌ بالصناعة،إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها، وقصورها بحسب تمام الملكة،أو نقصانها.وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملَكةُ التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع".(15).

إنَّ **تعريفات اللغة** هذه بقدر ما تلتقي لتزيد كنه (اللغة) وضوحاً إلا أنها تفترق بحسب وجهة نظر كل علم إليها. فالفلاسفة وعلماء المنطق المعاصرون مازالوا يعتمدون مقولة أرسطو في (أنَّ اللغـةَ رمزٌ للفكر)، في حين أن وظيفة اللغـة تتعدى ذلك إلى كونها أداة لنقل الأفكار.

***ولكننا نرى*:أن أفضل تعريف للغة بمعناها العملي،هو تعريف علماء الاجتماع الذي يلتقي،وما قدمه العلماء العرب من تعريفات للغة** لأنها رموز صوتية تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج إليه الإنسان في حياته. فاللغـة إذن: نظام عرفي لرموز صوتية يستغلها الناس في إتصال بعضهم ببعض، وهذا التعريف مع إيجـازه يتضمن أموراً أربعة نشير إليها بإيجـاز،هي :

أ- النِّظام: للغة نظام تخضع له، وقواعد مقررة، ونظام معين في توزيع أصواتها، ونماذج محددة في بناء كلماتها وجملها ، ولولا هذا النظام ما تحقق لها هدف، وما استحقت أن تكون مجالا لدراسة، وقد اتضح هذا النظام اللغوي في أكثر اللغات بدائية، وفي البيئات التي لم يتح لها أي نصيب من الحضارة.

ب- عُرفية اللغة:اللغـة يحكمها **العرف الإجتماعي** لا المنطق العقلي ، ومع أن اللغـة ككل سلوك اجتماعي يحكمها العرف، فهناك عرف متأصل الجذور مرَ عليه زمن طويل قد يحسب بالقرون، وآخر حديث نسبيا لايكاد يجاوز عشرات من السنين، فليس العرف في المناسبات الإجتماعية كالعرف في اللغة، من حيث تأصل الجذور وحرص الشعوب عليه ،فالعرف اللغوي قد يكتسب مع الزمن ما يشبه القداسـة، ولاسيما بعد أن نزلت باللغة الإنسانية الكتب المقدسـة، وكتبت بها روائـع الأدب.

ت- الأصوات : أوضح مظاهر اللغة،أومقوماتها الأصوات، تلك التي تنظم فتتألف منها الكلمات، ثم الجمل والعبارات وقد أصبحت الآن أصوات اللغة محل دراسات مستفيضة، وتجارب معملية كثيرة ، وقد اتخذ الإنسان هذه الأصوات منذ آلاف السنين بمثابة وسط تنقل خلاله الأفكار، والأحاسيس وكل مايجول في الذهن، وليست هذه الأصوات التي تؤلف منها الكلمات، والجمل إلا رموزاً أحلها الإنسان بموهبته الخلاقة محل الأفكار، والخواطر.ذلك لأن الرمزية هي العمل الأساسي في الفكر الإنساني، فتستطيع عقولنا أن تحول كل تجاربنا في الحياة إلى رموز، وتلك هي إحدى الصفات التي يتميزبها الإنسان عن الحيوان.

ث-المجتمع الإنساني: وهو بالنسبة للغة كالتربة بالنسبة للزهرة أوالحبة . فالحبة تكمن فيها بذرة الحياة ولكنها لاتنبت إلا في التربة، وكذلك اللغة في الإنسان ،إذ يولد المرء مستعدا للنطق والكلام، ولديه أجهزته وأعضـاؤه ، ولكنه وحده منعزلاً عن الناس لا

ينطق، ولا يتكلم ولا تنشأ له لغة. ونحن نلمس مظاهر هذا الإستعداد لدى الإنسان في صياح الوليد ومناغاته، فتلك هي بذرة اللغة أو القدرة على الكلام، ولكنها لا تنمو إلا حين تتوفر للمرء الحياة في مجتمع . فالإنسان مستعد بفطرته للكلام،ولكن هذا الاستعداد لايظهر له أي أثر إلا في المجتمع الإنساني. لذا لا غرابة في أن نرى اللغويين المحدثين يجمعون على أنه لا وجود للغة إلا في مجتمع إنساني.أما ما نسمع عنه في بعض الأحيان من أن للحيوان لغة فليس في الحقيقة إلا من قبيل التجوز،فلا تؤلف تلك الأصوات الفطرية المحدودة العدد التي نسمعها من أذكى أنواع الحيوان، وأرقاها لغة أو ما يشبه اللغة، لأن اللغة لا تعمق جذورها إلا في التربة العامة التي منها تستمد منها غذاءها. هذا إذا قدر للغة ألا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التي انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم.ومن المسلم به بين اللغويين الآن أن المرء يتعلم الكلام لا عن طريق الغريزة أو الإحساس الداخلي ، بل يتعلمه من المجتمع الذي ينشأ فيه (16). ولذا قال أبو الحسن الجرجاني في كتاب (التعريفات):"**اللغة هي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم**"(17). وهذا هو حدها عند ابن جني كما ذكرنا.

ويرى(فندريس) :أنَّ اللغة فعلٌ اجتماعي من حيث أنها استجابة لحاجة الاتصال بين بني الإنسان(18)،لا فرق أن تكون الحاجة عامة لتمشية أمور الناس في حياتهم المختلفة،أو خاصة للتعبيرعن الأفكار التي تجول في الذهن، **وبذا نرى: إنّ كلتا هاتين الحاجتين يحتاجهما رجل الإعلام،وعلم الإعلام بشكل خاص الذي يسعى لتحقيق وظائفه الأساسية، التي هي: الأخبار،الإعلام،التفسير،أوالشرح،التوجيه،والإرشاد،التسلية،والإمتاع،والتشويق،أوالإعلان،التعليم والتنشئة الاجتماعية.وهذه كلها أمور تجول في خاطر رجل الإعلام، ومهمته التعبير عنها لتوصيلها إلى أذهان الجماهير.**

وبذلك يبدو أن ***تعريف الاجتماعيين*** **للغة** تعريف يتناسب وما يريده الإعلاميون من اللغة الإعلامية، أو الاتصال بالجماهير بوجه خاص، والذي اتضح لنا من خلال عرض تعريفي الإعلام، واللغة وما بينهما من وشائج وصلة، لأنها وسيلة ذات طبيعة إنسانية تتم بين البشر وحدهم ، كما أنها وسيلة تفاعلية لأن كل طرف فيها يهدف إلى التأثير في الطرف الآخر، والتأثر به، ومن ثم يبدو التفاعل في عملية الإتصال دائم الحركة.وهناك من عرف الإتصال استناداً إلى هذا الجانب التفاعلي،بالقول:الإتصال هو تفاعل بالرموز اللفظية، وغير اللفظية بين المرسل والمستقبل، وهي دائرية أيضاً تنتقل من المرسل إلى المستقبل، ومن المستقبل إلى المرسل في محاولة منهما لتبادل مواقع التأثير، والتأثر،أو الأخذ والعطاء (19).

الإتصال: وظيفة من وظائف اللغة

مصطلح الإتصال له مفهومات عدة أقربها إلى الوضوح،والتحديد **المفهوم القائل:**إن الإتصال هو:الطريقة التي تنتقل المعرفة، والأفكار بها من شخص (أو:جهة) إلى شخص آخر(أو:جهة أخرى) بقصد التفاعل والتأثير المعرفي، أوالوجداني في هذا الشخص،أو إعلامه بشيء،أو تبادل الخبرات، والأفكار معه،أو الارتقاء بمستواه الجمالي، والقيمي، أو إقناعه بأمر ما،أو الترفيه عنه.(20)

أما **وسائل الاتصال** ،فهي كما هو معروف محددة ضمن إطار هذا العلم، وهي قابلة للزيادة ، فإذ يحصر بعض الاتصاليين وسائل الاتصال: بالصحافة، المذياع، التلفاز (أو ما يطلق على تسميته الصحافة السمعية البصرية)، السينما (21). نرى أن بعضهم الأخر يتوسع في ذلك، فيضيف: وكالات الأنباء، المعرض، المؤتمرات الصحفية، الزيارات الرسمية، العلاقات العامة، وكما يسميها: (فن الاتصال بالجماهير)(22). ونحن مع هذا الرأي في التوسع بتعدد وسائل الاتصال لسبب بسيط هو أن (اللغة) لها دخل كبير في انجاز عمل هذه الوسائل الاتصالية.

مما تقدم نستنتج أن كل اتصال يحتاج إلى:

1-(مرسل) يرغب في نقل المعرفة، أوالأفكارالى الآخرين.

2- (مستقبل) يتلقى المعرفة، أو الأفكار التي يرسلها المرسل.

3- (قناة اتصال) تنقل المعرفة، أو الأفكارالى المستقبل.

4- (رسالة)أو هدف يرغب المرسل في أن ينقله إلى الآخرين(23).

إن مفهوم الاتصال بين اللغة، والإعلام له مجال أو أكثر غير مفهوم (الوسيلة) إذ **يتفق علماء اللغة والإعلام على ضرورة وجود معنى حتى يمكن لدائرة الاتصال أن تتم** وتؤدي دورها في الإبلاغ) (24). ففي الجانب الاتصالي قدَّم((ديلبورشرام)) إنموذجاً لعملية الاتصال ذكر فيه:

أولاً- **المصدر** أو صاحب الفكرة.

ثانياً- **التعبير** عن الفكرة وصياغتها في رموز لتكوين الرسالة.

ثالثاً- **المستقبل** الذي يفك رموز الرسالة.

رابعاً- **الاستجابة،ورجع الصدى** الذي قد يصل،أو لا يصل إلى انتباه مرسل الرسالة الإعلامية، فان وصل وفسر تفسيراً صحيحاً، فان الدورة الاتصالية تكتمل(25). وهذا التقسيم على الرغم من حداثته إلا انه لايختلف كثيراً عن تقسيم الموقف الاتصالي عند أرسطووالذي هــو :

***الخطيب،أو المُرسِـل.**

***الجمهور، أو المُسْتَقبِل**

***الخطبة،أو الرِّسالـة،مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء(26).لذا فإن المُرْسل بحاجة إلى مهارات (عامة) و(خاصة). فالمهارات العامة، هي:**

1-العلم بموضوعه، لأن المعرفة شرط في إفادة المستقبل، والحوار معه، والتأثير فيه،كما أنها شرط من شروط النجاح في عملية الإتصال،إذ كلما كان المرسل أكثر معرفة، وإحاطة بالموضوع الذي يرسله نجح في جذب المستقبل.

2-الذكاء الوظيفي: لأنه يساعده في التقاط جوانب التأثير والتأثر لدى المستقبل، ويوجه رسالته إلى هذه الجوانب مباشرة، ويصطنع الأسلوب الملائم لها والقادر على توظيفها لصالحه.

3- وضوح الرؤيا وتحديد الهدف :لأن الرؤيا هي تطلع نحو غاية عليا ،أو هدف بعيد لابد من وضوحه لدى المرسل، لأن هذا الوضوح يعينه على اختصار الوقت ، واختيارالطريق، والوسائل المعينة ، كما أن الوضوح يجعل المرسل أكثر قدرة على تحديد هدفه، والاتجاه إليه مباشرة .

4-القدرة على التعبير: وفيها يكمن قدر كبير من نجاح المرسل في إتقان لغة التعبير، سواء أكانت شفوية أم مكتوبة، لأنه يحتاج إلى الإفصاح عن مقاصده بوضوح، ودقـة، واختصار حتى يتمكن من التأثير في المستقبل.

5-القدرة على تحصيل المعرفة:إذا كانت المعرفة شرطاً من شروط نجاح المرسل، فإن القدرةعلى تحصيلها في زمن تقنية المعلومات شرط إضافي يفيد في اختزال الوقت، والإحاطة بالمعارف المتعلقة بموضوع الرسالة.

6-القدرة على إدراك فحوى الكلام: يحتاج المرسل إلى قدرة على فقه النصوص،وإنتقاءالنص الملائم لرسالته، أو كتابتها ،كما أنها تساعد على الفهم والاستيعاب، والتأويل ومعرفة المسكوت عنه، والمخبأ، والمضمر وراء السطور.

7-القدرة على اختيار قناة الإتصال وتوظيفها :تختلف طبيعة الإتصال ونتائجه باختلاف قناة الإتصال.فهناك قناة لغوية مباشرة في الحوار، والمناظرة، والمناقشة. وهذه القناة تختلف عن القناة اللغوية غير المباشرة المستخدمة عبر التلفاز والإذاعة، ومن المفيد لنجاح المرسل أن يكون قادراً على اختيار القناة الملائمة، وتوظيفها لأداء الهدف من الرسالة.

8-القدرة على التقويم: المرسل الناجح هو الذي يتمتع بمهارة مراجعة إرساله لمعرفة مواضع النجاح والإخفاق فيه، حتى يتجنب الإخفاق ويعزز النجاح، ويقوم عمله بما يجعله أكثر نجاحاً في إرساله التالي.

أما مهارات المرسل الخاصة، فهي:

***1-* مهارة التحدث:** وهي مهارة مركبة، يسهم فيها إتقان اللغة ، والقدرة على التنوع بالأساليب وتوظيفها، والمرونة في تبديل مواقع الكلام وتغييرها، والإنتقال بها من فكرة إلى أخرى، فضلا عن القدرة على توظيف حركات الوجه، واليدين في أداء المعاني وتوكيدها.

2- مهارة الكتابة: تحتاج مهارة الكتابة إلى تدقيق في الأساليب الملائمة لأغراض المرسل المختلفة.إذ أن هناك متسعاً من الوقت أمام المرسل الذي يختار الكتابة قناة لإيصال رسالته إلى المستقبل. ومن ثم فهو قادر على توفير إمكانات التأثير كلها، من صوغ ملائم للغرض، ودقة تعبير ، وإصابة للقصد، وإيجاز في القول.

***3-* مهارة القراءة السليمة:** وإجادتها شرط للتأثير في المستقبل، سواء أكانت الإجادة تعني حسن الأداء، والنبر، أم كانت تعني الإستخدام السليم للوقف التام، أو العارض. وعلينا ألا ننسى تأثير صوت القارئ في المستقبل (المستمع)، لأن هناك أصوات منفرة، وأخرى جاذبة.

***4-* مهارة الإصغاء الإيجابي** : المراد به قدرة المرسل على أن يفهم الآراء، ويستوعبها، ويتفاعل معها، ويحدد اتجاهها، من الإستماع إلى كلام المستقبل . أما الإصغاء السلبي فهو ضعف قدرة المرسل على فهم الكلام المسموع، وتحديد أبعاده، ومراميه، تبعاً لعدم تدريب أذنيه على الاستماع الجيد، والفهم، والاستيعاب(27).

ولذا **يهتم علماء النحو بـ (الكلمة): التي هي لفظ وضع لمعنى،** والجملة التي هي اصغر وحدة كلامية، إلا أنهم لايعترفون بها إلا إذا جاءت بمعنى أي (بكلام مفيد) يحسن السكوت عليه، ويفرقون بين (اللغة) و(اللغو) الذي هو: "ضم الكلام ماهو ساقط العبرة منه، وهو الذي لامعنى له في حق ثبوت الحكم"(28).

إن الحقل المشترك بين اللغة،والإعلام في العلاقة بين اللفظ والمعنى هو حقل (الدلالة) فعلماء اللغة يعنون بعلم (الدلالـة) وعلماء الإعلام يهتمون بالإطار المشترك بين مرسل الرسالة، ومستقبلها حتى يتم الإعلام في هذا الإطار المشترك، ولاتسقط الرسالة

خارجه. ويمثل (اللفظ) وهو:"ما يتلفظ به الإنسان مهملاً كان أومستعملا"(29). القاسم المشترك في الدلالة بين اللغة والإعلام. فعلى الرغم من دلالة الإشارة،أوالرسم على المعاني أحيانا،وعلى الرغم من وصول المعاني في أحيان أخرى نتيجة للتأمل والتفكير، يظل (اللفظ) صاحب السيادة لأنه يتقدم سائر أشكال الدلالات. وفي اللغة لايقوم اللفظ بمفرده بالاتصال لأن السياق هو الذي يعين قيمة الكلمة، ويحدد معناها تحديداً مؤقتاً، ويفرض قيمة واحدة بعينها على الرغم من المعاني المتنوعة التي يمكن أن تدل عليها، وهو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة فيها توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها (30).

الإتصـــــــــال الكتــــابي :

اللغة العربية الفصيحة مجموعة من الرموز المكتوبة الدالة على معان محددة متفق عليها. فالكلمة (رمز أودال) اتفق على دلالتها على (معنى مادي معين) نسميه (المرموز إليه)، وهو الإستعمال الحقيقي لهذه الكلمة . فإذا استعمل الرمز في غير ماوضع له كان استعماله (مجازياً).ذلك أنَّ الخبرة اللغوية ثلاثية الأطراف،الأول فيها، هو: **النطق**،والثاني فيها، هو : **الكتابة**، والطرف الثالث فيها هو: **الشيء المدلول عليه**، سواء أكان ماديا، أم معنوياً . فإذا نطقنا، أو كتبنا كلمة (رأس) انصرف الذهن إلى الجزء العلوي من جسم الإنسان، وإذا استعملنا كلمة (رأس) في غير ما اتفق العرب عليه، كان استعمالنا لها مجازياً كقولنا:"رأس الحكمة مخافة الله ". يقودنا التوضيح السابق إلى أن قضية الإتصال المكتوب يمكن أن تنصرف إلى العلاقة الحقيقية المباشرة،أو العلاقة المجازية،أو العلاقة الإصطلاحية ، أو العلاقة الخاصة بينهما . **إذن هناك أربع علاقات بين الرمز (الدال)، والمرموز إليه (المدلول)، هي:**

1-العلاقة المباشرة: تعني استعمال الألفاظ ، والجمل فيما وضعت له أصلاً، من دون أية رغبة من الكاتب في بناء عالم متخيل، وذلك لأن الهدف مخاطبة عقل القارئ،أوالمستمع، ولكن العلاقة المباشرة لاتعني أن هناك مستوى لغوياً واحداً في الكتابة. فالقراءة مستويات، وكل مستوى من هذه المستويات يحتاج إلى كتابة تلائمه، وتجعله قادراً على استقبال المعرفة باللغة المكتوبة.

2-العلاقة المجازية: ذلك أن المرسل كتب ألفاظاً، وجملاً ليدل بها على أمر مغاير للدلالة الحقيقية. أو قل إنه رغب في أن يقيم علاقة مجازية بين الرمز والمرموز إليه لإعتقاده أنها أكثر تأثيراً في القارئ، وإقناعاً وإمتاعا له . وهذا ما يفعله الأديب عادة لأنه يعرف أن العلاقة المباشرة لاتحقق له غرضه من الإتصال بالمستقبل.

3-العلاقة الإصطلاحية: العلاقة هنا بين الرمز والمرموز إليه مختلفة عن العلاقتين السابقتين ، ذلك أن حاجة اللغة العلمية المكتوبة إلى اختزال المفاهيم التي تتكرر دفعها إلى إيجاز كل مفهوم من المفاهيم في كلمة سميت (مصطلحاً) يدل على مفهوم معين ،كما أصبح ذكر المصطلح يغني عن ذكر المفهوم ما دام يدل عليه.

4-العلاقة الخاصة: يلجأ بعض الناس إلى عدد غير قليل من العلاقات الخاصة بين الرمز، والمرموز إليه لتحقيق حاجات الحياة المختلفة . ولكل علاقة من هذه العلاقات تعليل يخصه وحده، كما في نماذج النعي، ومناسبات الأفراح والإعلان عن الإجتماعات السنوية.ومسوغ اللجوء إلى النماذج الثابتة هو أن الحاجة ثابتة لاتتغير ولا تتبدل(31) .

مهـــارات ضـــبط الإتــصال الكتــــابي :

أ-علامات الترقيم : هي علامات اصطلاحية ، اتفق على شكلها ، وعلى أمكنة توضع فيها ، بين الكلمات في الجملة، أوفي نهايتها للدلالة على معان يجب أن يراعيها المرسل، والمستقبل . وهي – في الغالب – خمس عشرة علامة.

ب-الأخطاء الشائعة: يحرص المرسل على استعمال لغته استعمالاً صحيحاً . ومعيار الصحة هنا ما استعمله أجدادنا حتى نهاية عصر الإحتجاج (150هجرية)، وما أجازته المجامع اللغوية العربية في العصر الحديث. وقد لاحظ الباحثون: أن أغلبية الكتاب تخطيء في استعمال كلمات معينة نطقاً، أو إملاءً، أو استعمالاً في غير ما وضعت له، وقد سموا هذه الأخطاء بـ (الأخطاء الشائعة) وسعوا إلى أن يتجنبها الكاتب العربي، ورجل الإعلام، ويتشبث بفصاحتها.

جـ -النَّحو العربي: ينهض النحو العربي بمهمة تحديـد مواضع الكلمات في الجملة؛ بحسب المعنى الذي يرغـب المرســـــل في إيصاله للآخرين .وتعد حركات الإعراب (علامات الإعراب الأصلية، والفرعية في الأسماء، والأفعال) علامات دالة على هذه المواضع. فإذا تقيد المرسل بها صـحَّ نطقــه، وغدت كتابتــه سليمة.

د-الإملاء العربي: أصبح الإملاء مصطلحاً دالاً على قواعد معينة تهدف إلى صحة الكتابة العربية. فإذا قلنا:(قواعد الإملاء العربي) فنحن نقصد القوانين، والقواعد التي تجب مراعاتها لتصبح الكتابة العربية صحيحة(32).

****

الهوامـش:

1-انظر: الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة ، ط2 ص 75.
2-انظر :المدخل إلى وسائل الإعلام ،د. عبد العزيز شرف ، ط1 ص16 . وانظر كذلك(مع اختلاف بسيط في الترجمة) الإعلام له تاريخه ومذاهبه ص23، والدعاية والإعلام ص 76.
3-اللغة بين القومية والعالمية،د .إبراهيم أنيس ص.11
4-انظر: الإعلام ولغة الحضارة د. عبد العزيز شرف، مجلة اللسان العربي، العدد 1، مجلد11، ص347.
5،6-انظر : النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال ص44. ص 42 .
7-الفارابي وآراؤه اللغوية في كتاب الحروف، د. عدنان محمد سلمان, مجلة المورد 1 مجلد 18ص 114 .
8-الخصائص 1/ 33.
9- المزهر 8/1.
10-الإعلام واللغة، د.محمد سعيد ،ص7.
11-الإعلام ولغة الحضارة ص 34.
12- مفاهيم في الفلسفة والإجتماع ص .215
13-انظر: الإعلام ولغة الحضارة ص 341.
14-مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ص.215
15-المقدمة(تاريخ العلامة ابن خلدون) – دار الكتاب اللبناني،بيروت،ط(3) (1967)، المجلد الأول، ص1071،1056 .
16- لمزيدالتعريفات،،انظر: اللغة بين القومية والعالمية، د.إبراهيم أنيس، ص 11- .38
17-انظر: التعريفات ، ص.102
18-انظر:اللغة،ج .فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ص .24
19-20- انظر : مهارات الاتصال في اللغة العربية ص13..
21-انظر:مدخل إلى وسائل الإعلام ص .27
22-انظر:الإعلام والدعاية ص.87
23- مهارات الإتصال في اللغة العربية، ص.13
24-انظر: الإعلام واللغة ص .8
25-26-انظر: الإعلام ولغة الحضارة ص347.357
27- مهارات الإتصال ص16-17.
28 - التعريفات ص.102
29- انظر: ص108-
30-انظر: اللغة ص231.
31-32- لمزيد من التفصيل، انظر:مهارات الإتصال 127-133،131-158.

المبحث الأول

لغة الإعلام، ومستويات التعبير اللغوي في اللغة العربية:

ترجع عناصر أية لغة إلى أمرين:الصوت،والدلالة التي هي:" كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر.والشيء الأول: هو الدال، والثاني: هوالمدلول.وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص، ودلالة النص،واقتضاء النص. "(1). وتتكون الدلالة من:

- معاني المفردات - Lexicology
- قواعد التنظيم (النحو) - Syntax
- قواعد البنية (الصرف) - Morphology
- قواعد الاسلوب (البلاغة) - Rhetoric

وسنعني في بحثنا هذا بـ(العنصر الثاني- الدلالة) من عناصر اللغة بأقسامه الأربعة التي مرَّ ذكرها، لأنها تشكل نظام الرموز التي تصدر بطريقة إرادية، قصد التعبير عن غرض معين،ولاسيما إذا كانت هذه الرموز مكتوبة. ولأن هذه الأقسام الأربعة:هي

مكونات (الرسالةالإعلامية) التي تعد العنصر الثاني في عملية الاتصال (Communication) الذي يعرف أنه: تبليغ رسالة شفوية أو خطية، أو معلومات،أو أفكار،أو آراء، عن طريق الكلام المنطوق أو الكتابة،أو الإشارات فهو كما يورده معجم وبستر: "عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الإفراد، وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة"(2).

وتشمل عملية الاتصال بمفهومها البسيط ثلاثة عناصر، هي:

- المرسل: (Sender).
- الرسالة: (Message) حديثا، أو تعبيراً بأية أشكال، أو رموز، أو كلمات.
- المستقبل: (Receiver).

وفي حالة الاتصال الجمعي،أوالاتصال بالجماهير(Mass Communication) نضيف عنصراً رابعا،هو: الوسيلة(Media) كـ(الصحف والإذاعة، والتلفاز)التي يمكن بها نقل الرسالة في وقت واحد لأكبر مجموعة من الجماهير، بهدف الإعلام، أو الدعاية، أو الإعلان، أو الإقناع، أو التأثير العقلي، أو العاطفي، أو الإيحاء بأفكار واتجاهات ومقاصد معينة(3).

لذا فإن حديثنا عن (الرسالة الإعلامية) سيقتصر على أمرين هما:

- لغة الرسالة الإعلامية بين الفصحى والعامية.
- لغة الرسالة الإعلامية بين مستويين.

لغة الرسالة الإعلامية بين الفصحى والعامية:

عرَّف النُّقـاد العرب النَّثـر، أنه:الكلام المرسل من قيود الوزن والقافية، وقسموه على ثلاثة أقسام، ثم أضافوا إليه قسماً رابعاً، وهذه الأقسام هي:

1- ***النثر(العادي)*****:** وهو الذي يستخدمه الناس عامة في لغة تخاطبهم من دون أن يحفلوا به، أو يقصدوا فيه الى شيء من الروية، أو التفكير،أوالزخرف، وإنما يرسلونه مباشرة لمجرد التعبير عن حاجاتهم المختلفة.

2- ***النثر العلمي*****:** وهو الذي تصاغ به الحقائق العلمية لمجرد إبرازها والتعبير عنها دون عناية بالناحية الفنية.

3- ***النثر الفني*****:** وهو الذي يرتفع به أصحابه عن لغة الحديث الإعتيادية، ولغة العلم الجافة، الى لغة فيها فن ومهارة وروية، ويوفرون له ضروباً من التنسيق والتنميق والزخرف، فيختارون ألفاظه وينسقون جمله، وينمقون معانيه. فيكون النثر الفني بهذا المعنى لوناً جميلاً من الفن للتعبير عن خلجات النفس، وومضات العقل، وخطرات الشعور. وهو يستخدم ألوانا من الطاقات الفنية المختلفة من حيث العناية باختيار الألفاظ، وتركيب الجمل، وماشابه ذلك. ويتحقق في هذا النثر التفكير من ناحية، والجمال من ناحية ثانية. **ولكن ظهور الصحافة العربية في القرن التاسع عشر الميلادي، دفع بعض أساتذة الصحافة والأدب الى إضافة قسم رابع أسموه:**

4 - النثرالعملي(الصحفي):وقالوا إن هذا النوع من النثر يقف في منتصف الطريق بين لغة الأدب (النثر الفني)ولغة التخاطب اليومي، النثر الإعتيادي (العادي). له من النثر (العادي) ألفته وسهولته وشعبيته،وله من الأدب حظه من التفكير،وعذوبة التعبير. ولعل هذا ما جعل بعض أساتذة الصحافة يطلقون على الصحافة (الأدب العاجل) (4).وإذا كنا نتفق وتعريفهم النثر أنه الكلام المرسل من قيود الوزن والقافية إلا إننا لا نرى لهذا الكلام المرسل الذي أسميناه (النثر) إلا قسماً واحداً يقف في مقابل (الشعر).ويكون على ضربين:

الضرب الأول: النثر الإعتيادي الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال، وحكم.

الضرب الثاني: النثر الفني،وهو: الذي يرتفع فيه أصحابه الى لغة فيها فن ومهارة وبلاغة،وهذا الضرب هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودراسته، وبيان ما مرَّ به من أحداث وأطوار، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص، وهو يتفرع الى جدولين، هما: الخطابة، والكتابة الفنية، ويسميها بعض الباحثين باسم النثر الفني، وهي: تشمل القصص المكتوب ، كما تشمل الرسائل الأدبية المحبرة، وقد تتسع فتشمل الكتابة التاريخية المنمقة (5).**هذا ما عرفه النثر العربي منذ عصر ما قبل الإسلام الى يومنا هذا**،وما حفظته لنا كتب الأدب واللغة، و التاريخ، والعلوم الأخرى.أما النثر الإعتيادي (العادي) الذي نسميه، لغة التخاطب اليومي، في عصرنا هذا فليس قسماً من أقسام نثرنا العربي،لأنه لهجات انشعبت عن اللغة الأم، واختلفت عن الأصل الذي انشعبت عنه في كثير من مظاهر الصوت، والقواعد، والدلالة، والمفردات، وسلكت كل لهجة منها في تطورها منهجاً يختلف عن غيرها تحت تأثير ظروفها الخاصة. ناهيك عن أنَّ الدعوة إلى العامية في عصرنا هذا، الذي تواجه فيه الأمة العربية تحدياً حضارياً ومصيرياً، دعوة شعوبية تعني من الوجهة السياسية تفكيك وحدة الأمة العربية، وإقامة كيانات سياسية متفسخة غير متفاهمة، كما أنها دعوة الى الانزواء، والتقاطع ما بين المجتمعات العربية التي وحدها اللسان العربي على الرغم من فداحة الإخطار المحدقة بها.

لغة الإعلام هي الفصحى:

إن ما تمتاز به اللغة العربية الفصحى من خصائص،من حيث قدرتها الاتصالية بالجماهير على امتداد الوطن العربي جعلها أكثر وفاء لمطالب الإعلام وغاياته، **فإذ يشترط الإعلاميون في اللغة الإعلامية:(الوظيفة الهادفة، والوضوح، والإشراق)**، لأن الفن

الصحفي، والإعلامي بوجه عام، فن تطبيقي يهدف الى الاتصال بالناس، ونقل المعاني، والأفكار إليهم، فهو أداة وظيفية، وليس فناً جمالياً لذاته (6). وبذا نرى استجابة العربية الفصحى لمتطلبات هذا الفن،وذلك من خلال تركيب مفرداتها (الجملة) وقواعدها، لأن الجملةهي الصورة اللفظية للفكرة،ووظيفتها: نقل ما في ذهن المتكلم من أفكار الى ذهن السامع، فهي إذن:(وسيلة لتناقل الأفكار، وأداة للتفاهم بين بني الإنسان)(7). والجملة في اقصر صورها، هي اقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه.

ثم أن (الجملـة) في اللغة العربية تختلف في طبيعة تركيبها عن الجملة في اللغات الأخرى، إذ لا تحتاج الجمل الخبرية فيها الى أفعال الثبات، أو ما يسمى في اللغات الغربية (فعل الكينونة).فنحن نقول في العربية على سبيل الإخبار(فلان شجاع)من دون الحاجة مثلهم الى أن نقول (فلان هو شجاع)، ونقول (كل إنسان فان) من دون الحاجة الى أن نقول (كل إنسان هو فان)، أو (كل إنسان يكون فانيا)، أو يوجد فانيا، وإذا قلنا مثلاً: (الأمة العربية واحدة) ثبت هذا المعنى في أذهاننا ثبوتاً لا يحتاج معه الى شيء من الخارج، لا فعل كينونة، ولا أي رمز أخر من اللغة، أو أي أمر من أمور الحس(8).

إما **علاقة الألفاظ بالمعاني في اللغة العربية فليست بحاجة الى مزيد من الإيضاح**، لأن العناية باللفظ مردها الى العناية بالمعنى، لذلك بالغ العرب في إصلاح ألفاظهم، وتهذيبها، وترتيبها، وتحسينها ليكون لها وقع في السمع، ودلالة على القصد، قال ابن جني:(اعلم انه لما كانت الألفاظ للمعاني أزمة، وعليها أدلة، واليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة، عنيت العرب بها، فأولتها صدراً صالحاً من تثقيفها وإصلاحها)(9). وهذا ما دفع الجاحظ من قبل الى وصف كلام العرب بقوله :"ليس في الأرض كلام هو أمتع، ولا أنفع، ولا آنق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة، ولاأفتق للسان،ولا أجود تقويما للبيان،من طول سماع حديث الأعراب العقلاءالفصحاء"(10)

وإذا كان **الإعلاميون قد حددوا الإسلوب الإعلامي بـ**(إعطاء الحقائق، بما يمكن من الدقة، والسرعة، واليسر، والظرف)(11). فإن الفصحى انطوت على هذه الخصائص، والمواصفات، قبل أن يبدأ **الإعلاميـون** البحث في مواصفات أسلوبهم الذي يريدون، فالإيجاز في العربية يعد من أهم سمات الكلام البليغ، (وقد كان العرب يميلون إليه، ويفضلونه على الكلام المسهب، ويعدونه البلاغـة، فأكثم بن صيفي، قال:(إنَّ البلاغــة هي الإيجــاز)(12).

وقال الجاحظ : البلاغة التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الحرف بما التبس من المعاني أوغمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر.ثم قال: وزين ذلك كله، وبهاؤه،وحلاوته، وسناؤه، أن تكون الشمائل موزونة، والألفاظ معدلة، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السن والسمت،والجمال، وطول الصمت،فقد تم كل التمام، وكمل كل الكمال.(13) **وفي الدقة أيضا ثمة مزية تميز العربية**، وتعد مقياساً لمعرفة ارتقاء أي لغة، ألا وهو **مقياس الدلالة على الزمن في الأفعال**، ثم في سائر الألفاظ، وهذا المقياس من أهم مظاهر اللغة الإعلامية الناجحة، لأن الصحفيين، ورجال الإعلام (يكتبون لكل الناس في كل الأوقات، وليس لجزء من الناس في كل الأوقات، أو لكل الناس بعضاً من الوقت.. ولهذا تظهر براعة اللغة الإعلامية من علامات الزمن في أفعال لغتها الأم)(14).

إن مثل هذا الإحساس الدقيق بالزمن في الفعل يكاد يكون سمة مميزة للعربية، أما على صعيد الألفاظ فيكفي النظر في كتابين اختصا بهذا الموضوع هما: كتاب (الفـرق) لثابت بن أبي ثابت."*" وكتاب (الفروق في اللغة)"**" لأبي هلال العسكري (المتوفي بعد الأربعمائة للهجرة)، إضافة الى كثير من الكنوز اللغوية التي تناولت هذه المسألة، ناهيك عن معجمات اللغـة.

وإذا انتقلنا إلى صيغ اللغة العربية نجد أن هذه الصيغ بقدر ما تزيد العربية رفعة وسموا، فإنها تزيدها دقة تعبيرية، ولنأخذ على سبيل المثال (صيغتي المبني للمعلوم، والمبني للمجهول) حيث نرى أن اللغات الأخرى تدل على هاتين الصيغتين بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين، في حين أن العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الثلاثي، والفعل الرباعي، والخماسي، أو الفعل المزيد. بغض النظر عن أن هذه الصيغة فرع عن صيغة المبني للمعلوم (رأي البصريين)، أو أنها أصل، وليست فرعاً من غيرها (رأي الكوفيين). وتزيد العربية بصيغة أخرى لا وجود لها في اللغات الأخرى، وهي صيغة (المطاوعة)، وهي:" أن تريد من الشيء أَمراً ما، فتبلغه". وذلك أن يدل أحد الفعلين على تأثير، ويدل الفعل الثاني على قبول فاعله لذلك التأثير، بشرط أن يتلاقى الفعلان اشتقاقاً، وأن يكون الفعل علاجياً.

إن الدِّقـة في دلالة اللفظ، وصياغة الجملة في العربية،يجعلانها مستوفية لوجوه الدلالة، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، وعدم استعمال عبارة واحدة لموضعين ملتبسين (المعلوم، والمجهول) وذلك إيفاء بالمعاني المقصودة في الاتصال الإعلامي بين (المرسل) و(المستقبل)، أو على حساب ضرورة التفاهم بين الاثنين، قال عبد القاهر الجرجاني: (لا يكون لإحدى العبارتين مزية على الأخرى حتى يكون لها في المعنى تأثير لا يكون لصاحبتها، فان قلت فإذا أفادت هذه ما لا تفيده تلك، فليست عبارتين عن معنى واحد، بل هي عبارتان عن معنيين اثنين) (15).

أن هذه الصفات التي تميز العربية عن غيرها **هي ما نسميه (الحركية)** التي تجعلها صالحة لطبيعة الإعلام، وتمنحها طواعية في إيراد حادث وقع حالاً يبعث على اهتمام القراء به. كما تتمكن من إعلام القراء بكل ما يريدون أن يلمسوا من سرد صحيح موقوت لأحداث، وكشوف، وآراء، وأمور من أي نوع تؤثر في القراء، أو تثير اهتمامهم، وهذا ما نسميه بالعلاقات المتغيرة بين الإنسان والإنسان، وبين المرء وبيئته، اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، أو غير ذلك من العلاقات. وعلى ذلك فإن في اللغة العربية طواعية تمكنها من الإجابة

عن الأسئلة التي تجول في خاطر رجل الإعلام دائماً، وهي: (ماذا حدث)، و(ماذا يجري الآن)، و(ألا من جديد)، و(أثمة مايثير)؟، و(أهناك مايؤذن بجديد)؟ ويرجع ذلك إلى الخصائص الإعلامية في العربية التي تتبين من تكييفها على وفق القوالب الإعلامية المختلفة، بحيث استخدمت في الصحافة الحديثة، وفي الوسائل الإعلامية المستحدثة، ولم تقع في أخطاء لغوية كالتي تقع فيها اللغات الأوربية،حين تتحررمن بعض القيود اللغوية، ولاسيما عند صوغ العنوانات المختصرة.

إننا حين نقول: أن اللغة الإعلامية هي اللغة العربية الفصحى، فأننا نعني ذلك ،على خلاف ما يذهب إليه بعضهم في اللغات الأوربية في أن لغة الإعلام، لغة الفن الصحفي مستقلة تمام الاستقلال عن اللغة الأصلية الفصيحة(16)

يضاف إلى ما تقدم أن العامية المنتشرة في أرجاء الوطن العربي لا تجمعها قواعد مشتركة، وإنما تطورت على وفق ظروف بيئية، وجغرافية، وتختلف في مدى قربها، وابتعادها عن اللغة الأم (الفصحى).

وإذا كان الإعلام- والصحافة أولى وسائله- قد حسم مشكلة الازدواج اللغوي لصالح العربية الفصحى، فالمطلوب من الإعلام اليوم هو الحفاظ على نضارة هذه اللغة، وتجديد شبابها، ورفع الحيف الذي لحق بها من خلال التجاوز على أسسها وقواعدها. وفي بلدان المغرب العربي تكون هذه المهمة أكثر إلحاحا فالصراع الذي عاشته العربية مع لغة المستعمر التي ضربت في أعماق هذه الأرض أثَربشكل كبير في سلامة العربية، وحيويتها مما أدى الى خسرانها الكثير من سماتها، وخصائصها التعبيرية بفعل ازدواج الواقع اللغوي، وانتشار حركة الترجمة، وتسرب الكثير من الألفاظ، والأساليب التي لم تكن من العربية في يوم ما(17).

يشجعنا على ذلك أن اللغة العربية لغة قديمة متواصلة، وهذا التواصل من أهم خصائصها، **ولولاه لانقطع الحاضر عن الماضي ، كما أنها ظلت على الرغم من تعدد أقطار الناطقين بها محتفظة بوحدتها**، التي تتجلى في أحاديثنا، وتآليفنا في العلوم والفنون والآداب. ثم إن العربية ليست لغة فئة أو جماعة بعينها، وإنما هي لغة الشعب العربي كله قديماً، وحديثاً، فقد كان العربي ينتقل في جزيرته، أو يطوف العالم العربي الإسلامي، فلا يجد صعوبة في اللغة، ولا ضيقاً في الفهم، على الرغم من امتداد البقاع، وتنوع الأصقاع، ويستمع اليوم الى المذياع، وقد يكون ممن لا يحسنون القراءة والكتابة، ويقرأ الصحف، والكتب وهي تصدر في أقطار عربية مختلفة فيفهمها، وينتفع بها، ولم يكن ذلك يسيراً لولا شعبية اللغة العربية، وحرص أبنائها على التمسك بها، والذود عنها ورد ما يشيعه الشعوبيون، ويسعى إليه الحاقدون على الأمة، ولغتها الرائعة(18).

لغة الإعلام بين مستويين:

ذكرنا إننا **لا نقبل من اللغة إلا الفصحى**،وذلك لخصائصها التي انطوت عليها، ولسماتها التي تجعلها وفية لمتطلبات العمل الإعلامي في عملية الاتصال الذي يستهدف (إحداث تجاوب مع الشخص المتصل به،أو محاولة إشراكه في استيعاب المعلومات أو في نقل فكرة أو تجاه)(19). ولأن اللغة هي الرابطة التي تربط الإعلام بالمجتمع، ولأنها ترجع في عناصرها الى أمرين: الصوت،والدلالة بأقسامها. لذا يجب أن ننظر إليها نظرة علمية صحيحة من مختلف جوانبها، لأنها ليست مجموعة القواعد (النحو) وليست وسيلة إفادة فحسب، بل أنها لا يمكن أن تخضع لقواعد المنطق الصوري أو المنطق الارسطاليسي الذي قسم الكلام الى مخارج محددة جعلها أسماء وأفعالا،وأدوات،وذلك لأنها بمفهومها الاجتماعي:(سلوك فردي،وجماعي)وليست مجرد إفادة عقلية أو مجرد انبعاث صوتي منتظم(20).

وتأسيساًعلى الفهم الوظيفي للاتصال-لا فرق بين أن يكون شخصياً،أو جماعياً-حدد د.عبد العزيز شرف ثلاثة مستويات للتعبيراللغوي:

الأول- المستوى التذوقي الفني والجمالي، ويستعمل في الأدب والفن.

الثاني- المستوى العلمي النظري التجريدي، ويستعمل في العلوم.

الثالث- المستوى العملي الاجتماعي (العادي)، وهو الذي يستخدم في الصحافة والإعلام بوجه عام (21).

وعلى الرغم من أن د. عبد العزيز شرف يظل ثلاثياً في تقسيمه مستوى التعبير اللغوي، إلا أن هذه التقسيمات تختلف تسمياتها، ومجالاتها عنده، إذ انه يعيد ذكرها ثانية في كتاب آخر له ، فيقول: هناك ثلاثة مستويات للتعبير اللغوي:

أولها: المستوى التعبيري، وهو تذوقي فني جمالي، يستعمل في الأدب والفن والتحرير التعبيري.

الثاني: المستوى الإقناعي، ويستعمل في الدعاية والعلاقات العامة.

الثالث: هو المستوى الإعلامي، وهو مستوى عملي اجتماعي اعتيادي(عادي) يستخدم في وسائل الإعلام (22).

إنَّ هذا الاضطراب سواء في، التقسيم أو في التسمية، **يعود في تقديري الى محاولة عزل اللغة الإعلامية، وجعلها ذات مستوى مستقل عن مستويات اللغة الأخرى**،وهو فصل فيه الكثير من التعنت، والقسر الذي لا مبرر له. **وذلك لأنَّ العربية تنطوي على فنين،هما: الشِّعر، والنَّثر**، فالشعر، في اصطلاح العروضيين،هو:الكلام الموزون المقفى، وفي الاصطلاح الأدبي: مخاطبة الوجدان، والعواطف بأسلوب يغلب عليه الخيال، ويكثر في عباراته التشبيه، واستخدام الكلام في غير ما وضع له عن طريق المجاز، والكناية. ويفرق ابن سنان الخفاجي بين الشعر، والنثر، بما يشتمل عليه الأول من الأوزان،والقوافي، إلى جانب الذوق، والحس الذي يقدمه على العروض. في حين أن النقاد في العصور المتأخرة يرون في الشعر أموراً أخرى يعبرون عنها بالصور، والأخيلة حيناً، ويصفونها بالعاطفة، والانفعال حيناً آخر، وأخيرا يجردون الشعر من المنطق، وما يمت للعقل ونظام تفكيره بصلة(23).

أما النثر فانه يكون على مستويين: أحدهما: المستوى الفني، الذي أسماه د.عبد العزيز شرف (المستوى التعبيري) مرة، و(المستوى التذوقي الفني الجمالي) مرة أخرى.**وثانيهما: المستوى العلمي**،ويضم: (المستوىالاقناعي)،و(المستوى الإعلامي)، وهما:القسم الثاني، والثالث في تقسيمه الثاني، و: (المستوى العلمي النظري التجريدي)، و (المستوى العملي الاجتماعي العادي) في تقسيمه الأول، وذلك لعدة أمور نذكرها في ما يأتي:

1- إن الإقناع(persuasion) ليس مستوى مستقلاً من مستويات التعبير اللغوي، بل هو هدف تسعى أساليب التعبير مجتمعة الى تحقيقه،لأنه واحد من أهم غاياتها، سواء أكانت هذه اللغة على مستويين، أم ثلاثة مستويات.كماأن الإقناع هدف من أهداف اللغة بأساليبها المختلفة، ووسائلها المتعددة منذ القدم، والى يومنا هذا، ففن الخطابة عند أرسطو،هو:(الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في إي موضوع كان.وتلك المهمة ليست من شأن أي فن آخر، بل كل واحد من الفنون، إنما هو قادر على انه يعلم، ويقنع في مجال موضوعه الخاص)(24).

وسرُّ ذلك عنده: إن المرء لا يكفي أن يعرف ما يجب أن يقوله، بل عليه أيضا أن يعرف كيف يقوله، وهذا يسهم كثيراً في جعل الكلام يظهر ذا طابع معين. وأول ما اهتممنا به كان بالطبع ما يأتي أولا، أعني كيف نحدث الإقناع استناداً الى الوقائع نفسها(25). إذن فالإقناع هو الغاية التي يهدف إليها الأسلوب، ثم أن لكل أسلوب غاياته التي يتوخاها.لأن الإقناع: عملية تقديم اقتراحات مقبولة ترضي الشخص الآخر.أو أنه الرأي، أو الفكرة التي تعرض على شخص لجعله يقبل هذه الفكرة، أو يقوم بعمل معين (26).

2 - إن المستوى الفني، والمستوى العلمي يلتقيان في أنهما وسيلة تعبيرية عن أغراض معينة، **وهذه الوسيلة هي اللغة** لأنها وسيلة التعبير الطبيعية عن الأفكار والآراء والمعاني، والعواطف، إلا أنهما يختلفان في طريقة التعبير، وطريقة نظم الكلام، وعرض الأفكار المراد إيصالها، ثم في غلبة العناصر الجمالية على المستوى الفني، واستعمال الألفاظ الموحية التي تكون دلالتها دلالة هامشية **في حين أن اللفظة في الأسلوب العلمي تأخذ دلالتها المركزية الموضوعة لها أصلاً**. كما أنهما يلتقيان، وهذا هو الأعم الأغلب: فحين يكون المثل الأعلى للأديب المنطق، والوضوح فأن حرية الأديب في اختيار كلماته وفحصها تكون على أقلها، لأنه يكون أسير المنطق والوضوح والدقة أكثر مما هو أسير كلمات. فالفكرة تستولي عليه ويكون مثله الوضوح لا تزويق الألفاظ، وهناك بعض الأدباء مثلهم الأعلى هو الدقة والضبط والإتقان، وبذا فأنهم يرغمون على اختيار الكلمات بكل اعتناء وبطء وجهد حتى يلائموا بين الكلمات والمعنى الدقيق الذي يريدوه(27).

وقد وضع لنا الخبيرون بالأساليب قواعد للعناصر التي يجب توافرها لتكوين أسلوب جيد **فهناك العناصر الفكرية**، وهي:

- الصحة الناتجة عن الاستعمال الصحيح للكلمات.
- الوضوح، الذي ينتج عن الوضع الصحيح لها.
- الانسجام بين الشئ والذي يقال فيه.
- الكيفية التي يعبر بها عنه.

وهناك العناصر العاطفية، وهي:

القوة، والجدة، والإيحـــاء.

وهناك العناصر الجمالية: من موسيقى، وروعة، وسحر تجعل الأسلوب لذيذاً في حد ذاته بصرف النظر عن الفكرة(28).

وفي ضوء ما تقدم نستطيع أن نحدد **نقاط الالتقاء بين المستويين الفني، والعلمي في: المنطق، والوضوح، والدقة، والضبط، والإتقان**، في حين أنهما يفترقان في غلبة العناصر الجمالية(الموسيقى،والروعة،والسحر) على الأسلوب الفني، وإن كنا لا نستطيع أن نجرد الأسلوب العلمي من هذا كله. فما وضعه ابن سنان الخفاجي- الذي يعد أول من فصل القول في الفصاحة- يعد شرطاً ضرورياً لكلا الأسلوبين (الفني، والعلمي) لأنه قسم الفصاحة قسمين أساسيين، هما: فصاحة الكلمة المفردة، وفصاحة الكلمة المركبة.ومن بعض ما اشترطه في القسم الأول: أن تجد (اللفظة) لها في السمع حسناً ومزية على غيرها، وان تكون غير متوعرة وحشية، وغير ساقطة عامية، ولامهجورة المعنى، وان تكون جارية على العرف العربي الصحيح في التصريف والاستعمال.

أما القسم الثاني، فإضافة الى ما ذكره في القسم الأول، ذكر شروطاً أخرى جمعها المتأخرون من البلاغيين في قولهم:(أن فصاحة الكلام أن يخلو من التعقيد اللفظي، والمعنوي،وضعف التأليف،ومخالفته القياس النحوي،ومن تنافر الكلمات،مع فصاحة المفردات)(29).

إنَّ ما اشترطه ابن سنان الخفاجي في فصاحة الكلمة، والكلام ينطبق على كلا الأسلوبين، وقد أشار إليه أرسطو من قبل،لأن خصائص الأسلوب عنده، هي:الصحة،والوضوح، والدقة. فصحة الأسلوب: أساس جودة الكلام. وتستلزم أموراً منها: صحة استعمال الكلمات التي تربط الكلام بعضه ببعض. ووضوح الأسلوب: شرط لجودته، لأن الكلام الذي يعجز عن أداء معناه في وضوح يفوت الغرض منه. ودقة الأسلوب: هي أن نتجنب فيه ما لا مبرر له من ابتذال(30).

3- إن المستوى الإقناعي الذي أشار إليه د. عبد العزيز شرف الى انه يستعمل في الدعاية، والعلاقات العامة، فأن هذين الحقلين أن لم يكونا من حقول الإعلام كما أشرنا من قبل، فأنهما قريبان منه، وقد سَمَّى بعض الإعلاميين (العلاقات العامة) فن الاتصال بالجماهير، وهي وسيلة إعلامية ظهر خطرها منذ أوائل القرن الماضي(31).

أما الدعاية(publicity-propaganda):فإنها محاولة التأثيرفي الأفراد، والجماهير والسيطرة على سلوكهم لأغراض معينة مشكوك فيها، وذلك في مجتمع معين، وزمان معين، ولهدف معين(32) .أوأنها: نشر أفكار، ووجهات نظر، والمواقف المرغوب أن يتبناها الآخرون. والدعاية المعاصرة تهتم بصفة خاصة بتكوين الوعي الجماعي ،وإثارة روح الحماس،والمسؤولية بين المواطنين(33).

4 - إن قوله عن (المستوى الإعلامي) ووصفه إياه أنه: مستوى عملي، اجتماعي،اعتيادي (عادي)، يستخدم في وسائل الإعلام. فأننا لا نقبل من هذه الأوصاف إلا وصف (عملي) في مقابل المستوى الفني، وذلك لأن الأسلوب الإعلامي أسلوب وظيفي يهدف الى إيراد الحقائق والمعلومات وإبلاغها شأنه في ذلك شأن الأسلوب العلمي، أما قوله (اجتماعي) فيحتمل أحد أمرين، أما (الوظيفة الاجتماعية) وهذه ليست خاصة بأسلوب الإعلام وحده، لأن اللغة بأساليبها المتعددة ذات وظيفة اجتماعية، وسبق لنا أن رجحنا تعريف علماء الاجتماع للغة. والأمر الآخر، أن كان يقصد بـ(الاجتماعي) هو سعة الانتشار بين أفراد المجتمع، وتطابقه ولسانهم الدارج، فذلك مرفوض لأننا لا نقبل من اللغة إلا فصيحها، ولأن لغة المحادثة هي غير لغة الكتابة.

أما قوله (عادي) فإن كان منسوباً الى (العادة) فأن الفصحاء لم يعرفوا النسبة بهذا المعنى لأنهم خصوها بالمنسوب الى (عاد) إحدى قبائل العرب الكبيرة المذكورة في القرآن الكريم كثيراً، والنسبة وضعت للحسي المادي قبل أن توضع للمعنوي، وقالوا: شئ عادي، أرادوا به القديم لأن (عاد) كانت قديمة(34). فإذا كان هذا هو مقصوده وأراد بـ(عاد) القديم فأن الأمر غير ذلك،لأن الفصحى أقدم،وأسبق من العامية،وإن أراد الإعتياديين(العاديين- ممن لا يحسنون الفصحى) من أفراد المجتمع فذلك مرفوض أيضا،لأن لغة المحادثة اليومية لا تصلح أن تكون مستوى لغوياً،ولأن المستوى الإعلامي يجب أن تكون لغته بعيدة عن الابتذال، والعامية كما ذكرنا.

5- إن ما يكتب،ويذاع في حقلي العلوم، والإعلام، يلتقيان في أنهما موجهان للناس عامة بقصد إيصال الحقائق،والمعلومات، والأخبار،والاتصال في جوهره كما يقول د. عبد العزيز شرف: نقل المعاني عن طريق الرموز المتعارف عليها، التي يستخدمها الإنسان من أجل التوافق النفسي مع العالم الخارجي، فالرموز هي جوهر وسائل الإعلام، وعمودها الفقري، وبدونها لا يمكن أن تعمل(35).

ولما كانت هذه الرموز من جوهر وسائل الإعلام، فأنها من جوهر العلم والفن لا يمكن بدونها إيصال أي شئ الى الآخرين، لذا فالرموز تختلف في المستوى التعبيري، وتلتقي في الوظيفة، أي الغاية المراد الوصول إليها.

وخلاصة الأمر:أن اللغة ليست أربعة مستويات،ولا ثلاثة، فقد أشار الدكتور محمد سيد محمد الى: أن اللغة أربعة مستويات، هي:النثرالإعتيادي(العادي)،النثر العلمي،النثر الفني،وهذه تقسيمات النثر كما يراها، ثم أضاف قسماً رابعاً سماه: النثر الصحفي(36). وذكرنا أيضاً تقسيمات د. عبد العزيز شرف الذي يرى أن اللغة ثلاثة مستويات، وتوصلنا من خلال مناقشته الى أن اللغة مستويان،هما:المستوى الفني،والمستوى العلمي ،أو العملي.

فالأول: ذو وظيفة فنية تمنح العمل الأدبي خصائصه، ومميزاته، وهو أعلى مستوى من المستوى العلمي.

والثاني: ذو طبيعة وظيفية إبلاغية، الغاية منه:التعبير الوجداني بالألفاظ، وإثبات إرادة المتكلم وذاته،ومنهجه: دراسة الوسائل التعبيرية في المجال اللغوي الذي تلتقي فيه اللغة بالحياة(37). والى مثل هذا أشار د. عبد العزيز الغنام حين أشار إلى تسمية الأسلوب الصحفي بـ(النثر العلمي) ليساير هذا التعبير الخاص بلغة الصحافة الحياة العلمية بما فيها من متناقضات وبساطة، وتعقيد(38).

ولما كانت اللغة مستويين، (فني)، و(علمي- عملي) فإننا سنوجز ماتوصلتنا إليه من استنتاجات بعد دراسة مستفيضة لواقع الكتابة العربية منذ أن عرف العرب قيمة لغتهم، ورقيها، وجمالها فحرصوا على تجويدها، وتهذيبها، وتحسينها خدمة منهم للمعاني "فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها، وحسنوها، وحموا حواشيها، وهذبوها، وصقلوا غروبها، وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، وتنويه بها، وتشريف منها " (39)

ومن خلال ما تقدم نستنتج ما يأتي :

أولا: إن العرب عرفوا الكتابة الفنية، وهي مستوى أدبي يقف مقابل الشِعر، وذلك من عصر ما قبل الإسلام إلى تاريخ سقوط بغداد، وظهور مصر بعدها، وإذا كانت الوثائق التاريخية لم تسعفنا في تأييد الكتابة الفنية في العصر الجاهلي، فإننا نرى إن ما وصل إلينا من أمثال، وخطب، يعد جزءاً من هذه الكتابة في إطارها الفني .

ثانيا: إن الكتابة الفنية بدأت محدودة الموضوعات تبعا لضيق الحياة التي كان يحياها العربي ثم توسعت بتوسعها، وتطورت بتطورها، وعليه فإن الكتابة الفنية نشأت تلبية لحاجة المجتمع العربي في عصوره المختلفة، وقد تأثرت بما استخدم في هذه العصور إلى أبعد حدود التأثر، فكانت بحق صوراً ناطقة عن عصرها.

ثالثا: بلغت الكتابـة الفنيـة أوج تقدمها، وازدهارها في العصر العباسي الثاني، والذي يقف في مقدمة كتابه(الجاحظ المتوفي سنة255هجرية) الذي طوَّع اللغـة لأغراضه التعبيرية، فجاءت كتاباته إنموذجا على حيوية العربيـة، وقدرتها على النهوض بأعباء عصرها الذي تعيشه، ومتطلباته .

رابعا : إن التصنع، والتنمق بقدر ما كشف عن المرونـة التي امتازت بها العربية إلا إن سوء استخدامها،أثقال المعاني بها، أفسد هذه المرونة التي كان من الممكن استخدامها في تزيين الأسلوب، وتحسينه. فالمرونـة التي استخدمها الحريري، وأمثاله في هذه الألاعيب اللفظية التي لا جدوى منها للأدب ، استخدمها آخرون في تحقيق مطالب جليلة أفاد منها العلم كثيرا،لأن هذه المرونـة أتاحت لواضعي العلوم اللسانية، والشرعية، وباسطي أصولها، وقواعدها إن يستمدوا لها الأسمـاء، و المصطلحات الفنيـة من صميم لغتهم .

خامسا: إن الكتابة الفنية التي عرفها العرب كانت تقابلها الكتابة العلمية،وما عدا هذين المستويين لم يكن للعامية، أو العربية المنحرفة عن أساليبها، وقواعدها، وفصاحة ألفاظها أثـراً يذكر.

المستوى العملي:

يضم نوعين من النثر هما: النثر العلمي، والنثر الصحفي (الإعلامي), لأنني آثرت إن يكونا قسماً واحداً يقابل (النثر الفني)، فليس في اللغة كما أرى إلا مستويين من النثر هما: (الفني، والعلمي)، ولأنَّ ما يصطلح على تسمية بـ **(اللغة الإعلامية)** يدخل في صميم النثر العلمي شانه في ذلك شأن لغة العلوم، وسنصطلح على تسمية كل منهما بالأسلوب العلمي،والأسلوب الإعلامي.لأنَّ، هو:" الصورة اللفظية التي تكون طريقاً إلى تأدية المعنى إلى النفس" **(40)**". ورسخ في الأذهان: أن الأسلوب مجرد وصف للنص الأدبي من حيث خصائصه البلاغية حتى بدأ تحليل النص في الدراسات الحديثة، فإذا (الأسلوب) موضوع لدراسة اللغة. فإذا ما كان الكلام من حيث كونه تركيباً يقع في دائرة الدرس النحوي لضبط الإعراب،أو من حيث كونه صورا تقع في دائرة الدرس البلاغي لمعرفة وجوه البيان، فإن الأسلوب من حيث صوغه،وتأثيره موضوعاً لعلم الأسلوب،أوالأسلوبية**(41)**.وهذا ما يعنينا هنا،وإن كنا لا نغفل الدائرتين الأخريين.

النثـر العلمي :

عرف العرب الأسلوب العلمي قبل أن يعرفوا الأسلوب الإعلامي بالمعنى المتعارف عليه الآن. فبعد نزول القران الكريم، وانتشار الإسلام كان للعرب حياة تختلف عن سابقتها سعة، وعمقاً،فحياة التحضر والاستقرار التي مهد لها القرآن الكريم، وحثَّ الإسلام على بلوغها, اقتضت علوما شرعية كالأصول، والفقه، ولغوية، كالنحو، والصرف، والبلاغة، والعروض، والأدب، كما اقتضت الحياة الجديدة، نقل علوم من الأُمم الأخرى لم يكن العرب ليعرفوها، وكان لضرورة هذه العلوم مصطلحات لا مناص من إعطائها ألفاظا تدل عليها، لذلك أخذت هذه المعاني الحديثة ألفاظا عربية، تواضع عليها المشتغلون بتلك العلوم، وقد كثر ذلك كثرة هائلة حتى كأن ألفاظ اللغة وضعت وضعاً جديداً **(42)**. وبذا درجت شخصية التراث العلمي العربي منذ بدئها على إن تجمع بين صنوف العلم النظري,وهو ما يتصل في جملته بأمور الدين,وبين الدراسة اللغوية، وقد احتضنها اللغويون الذين لم يبعدوا عن الدين أيضا، لذا فلا غرابة من القول: إن الدين كان نقطة البدء في أي نشاط عقلي ووجداني عرفه المجتمع العربي في العصر الإسلامي.

وتاريخيا فان حضارة العرب المسلمين التي بدأت بالأدب (نثرا، وشعراً) كما بدأت به حياتها في تاريخ ما قبل الإسلام لم تستمر على هذا المنوال في العصر الإسلامي، لأن حياتهم الجديدة اقتضت اختراع علوم جديدة، وترجمة علوم أخرى من لغات ثانية، وبذا نرى أن العرب الذين بدؤوا بالتدوين، ثم الترجمة ما لبثوا أن بدؤوا بحركة التأليف التي سبقها اتساع حلقات مجالس الدرس حتى إذا كاد القرن الأول ينتهي تكون مجالس الدرس قد اتسعت وأخذت صورتها تستقيم"**(43)**.

أما العلوم فلم تعرف مميزة إلا في القرن الثاني، وان كان كثير من الأسس العلمية قد وضع في القرن الأول، فضلاً عن أن طور التدويـن بدأ فيه مظاهراً للحركة الدينية، وكان قوام هذه الحركة تفسير آيـات القرآن الكريم، وجمع الأحاديث، واستنباط الأحكام منها.

إن التدوين الذي عرفه العرب في هذا القرن لم يكن مجرد جمع لنقول شتى، وإن اتخذ مظهراً منظماً, كما فعل الأصمعي في (الأصمعيات) وما عنى به أبو عبيدة في نقائض جرير والفرزدق- التي تعد أضخم مجموعة شعرية تعرض لتاريخ أمة- وإنما امتاز في بعض نواحيه بالتأليف الذي يستهدف غاية، وكان القرن الثاني الهجري مميزا: "بظاهرة التأليف، وباتخاذ الكتب المؤلفة مناهج خاصة منظمة، من ذلك كتاب الخليل في اللغة، وكتابه في العروض، وكتاب سيبويه في النحو"**(44)**. كما شهد هذا القرن حركة واسعة للعلم، وتضاعف إخلاص الناس للترجمة، ومتابعة حركتها، والاهتمام بكل كتاب علمي يقع بن أيديهم.

إن حركة التدوين المنظم، والترجمة، والتأليف التي شهدها القرن الثاني الهجري لابد من أن تكون مسبوقة ببدايات جادة في هذه الميادين، وقد حدد أحد الباحثين السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول، بداية للتدوين والترجمة، قـال: " يكون من المحقق في الإسلام معرفة تاريخ معين لتدوين الشعر، ومعرفة تاريخ لأول كتاب ترجمة لكتاب علمي، والتأريخان يأتيان في حدود السنوات العشر الأخيرة من القرن الأول" **(45)**. فالتـدوين إذا بـدأ بالأدب، وعرفه الشعر قبل غيره من الفنون الأدبية، والترجمة بدأت بالعلم، لأن أول كتاب ترجم في البصرة أيام عمر بن عبد العزيز (توفي سنة101هجرية)هو كتاب "كناش أهدن القس" في الطب، ترجمه ماسرجويه البصري،وتزعم بعض الروايات أن هناك ترجمات سبقت هذا الكتاب**(46)** وهذا ليس بعيدا عن الواقع، فلا يعقل أن تبدأ الترجمة بكتاب قبل أن تبدأ بمحاولات مبتسرة في الأقل في هذا الفن.

أما فترة تدوين العلوم، فيرى الأستاذ احمد أمين: إن في الإمكان جعل الخمسين عاما الأخيرة في حكم الدولة الأموية(سقطت الدولة الأموية سنة 132ه) إلى صدر الدولة العباسية فترة لتدوين العلوم وتنظيمها سواء ذلك في العلوم النقلية،أو العلوم العقلية (47). وهذا يعني تزامن حركة التدوين المنظمة،والترجمة،والتأليف في بداياتها إلا أنها كثرت، وازدهرت في القرن الثاني،وبذا يقول الذهبي: انه كثر منذ عام 143ه، تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية،واللغة، والتاريخ،وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم،أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة (48) **مما تقدم يمكن أن نقول:** إن حركة التدوين، والتأليف، والترجمة لم تتأخر كثيرا عن ظهور الكتابة الفنية إن لم تكن قد زامنتها، على الرغم من أن الكتابة الفنية يمتد جذرها التاريخي إلى أمثال العرب وخطبهم في عصر ما قبل الإسلام.

الأسلوب العلمي:

إذا كان لكل ضرب من ضروب المعرفة أسلوبه الخاص الذي يعرف به، فان **الأسلوب العلمي** قد عرف هو الآخر في نهاية القرن الأول الهجري، وله ما يميزه من حيث كونه:"أهدأ الأساليب وأخفها مئونة، وأبعدها عن التمحل، وأدناها إلى الإحسان، فهو أسلوب يعمد إلى إيضاح الحقائق من أيسر السبل وأقربها، ليس فيه خيال شعري، لأن الخيال إنما يدعى إلى إشباع عاطفة، وتغذية وجدان،وهذا إنما تخاطب به العقول وتناجي به الأفكار، وليس فيه استعارات، ولا مجازات، ولا كنايات، ولا يحسن فيه تشبيه يجنح إلى دقة، ويحوج إلى فضل تأمل، ولطف نظر، وأعمال روية"(49). وان كنا لا نعدم جماله الذي يظهر واضحاً في منطقه المنبث بين تضاعيفه، وتخير كلماته البعيدة عن الاشتراك، ووضوح الدلالة، وطريقة تأليف الجمل. وهذا لم يتأت دفعة واحدة، وغير خاف أن لغة العلم في الإسلام لم تنشأ دفعة واحدة بل نمت وتنوعت بنمو العلوم وتقدمها، وقد بدأت العلوم الإسلامية منذ القرن الأول الهجري في تكوين لغتها، وظهرت اصطلاحات في الفقه، والتفسير، والكلام ثم تلتها اصطلاحات أخرى في الأخلاق، والسياسة، والطب، والكيمياء، والفلك، والطبيعة وخضع المصطلح العربي القديم لسنة النشوء، والارتقاء فتطور على مرِّ الزمن بفضل إفادة العرب، والمسلمين عامة من النقل والترجمة من الأمم الأخرى..وما أن حل القرن الرابع الهجري حتى اكتملت لغة العلوم، واستقرت مصطلحاتها"(50).

إن **لغة العلم** عند العرب التي بدأت في أواخر القرن الأول الهجري قد اتخذت أسلوبها الخاص بها الذي يختلف عن أسلوب الأدب، وذلك لأن " كل فن من هذه الفنون يختلف عما عداه في طبيعته، وموضوعاته، وأغراضه البيانية، وخطته في الاستدلال، وصلته بمناحي الإدراك والوجدان، ومبلغ نشاط المشتغلين به، وما يخترعونه من اصطلاحات، وينشئونه من مناهج، ويقتبسونه من اللغات الأخرى من طرق وأفكار" (51). وغني عن البيان إن الاختلاف في مثل هذه الأمور، وما إليها يؤدي حتما إلى اختلاف كل من هذه الفنون عما عداه في أساليبه, ولاسيما في العصور الحديثة.

الفرق بين الأسلوبين العلمي والأدبي:

انتهى الدارسون منذ زمن من التدليل على ما بين الأسلوب العلمي، والأسلوب الأدبي من فروق، فإذ كان **الأخير(الأدبي)** حراً في تصوير خبراته بالصورة المقنعة جامعاً بين نقيضين:عالم العقل، وعالم الخيال، فان **الأسلوب العلمي** تكون فيه الحقائق أوفر وأدق مهما كانت الصورة فيه عرضاً، أو تبليغاً، والسبب في هذا يعود إلى إن **الأسلوب العلمي** ينظر إلى اللغة على أنها وسيلة لإيصال الحقائق، أو التعبير عنها، وهذا جزء من وظيفتها، في حين أن **الأسلوب الأدبي** يراها غاية يوجه نحوها أكبر قسط من العناية، لذا نراه يعني بجمال القول، ورقة الأسلوب، وحسن البيان، وبلاغة التعبير. والذي ساعد على أن يكون هذا الفرق واضحاً بين الأسلوبين هو: قدرة اللغة العربية التي تسير فيها قواعد الأسلوب على وفق قواعد كثيرة(52).وحسب مقتضى أحوال الخطاب.

وأخيراً ثمة ظاهرة جدرة بالتمييز **إلا وهي التفريق بين الأسلوب العلمي** الذي كَتَبَ به العرب علومهم، وامتاز بالبساطة، والابتعاد عن صنعة الأدب،**وبين أسلوب التفاهم** الذي نشأ في المجتمع العربي نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الأقوام التي نزحت إلى الديار العربية، وفرضت الحاجة نشوء أسلوب للتفاهم هو أقرب إلى ما نسميه اليوم بـ(العامية- لغة الحديث اليومي)، لأن **لغة التفاهم هذه استعانت بأبسط وسائل التعبير اللغوي**، فبسطت النظام الصوتي، وصوغ القوالب اللغوية، ونظام تركيب الجملة، وتنازلت عن التصرف الإعرابي، واستغنت عن مراعاة أحوال آخر الكلمة، وتصريفها، كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية،واكتفت بالقواعد القليلة الثابتة في مواقع الكلام، للتعبيرعن علامات التركيب.

****

الهوامش:

1- انظر:التعريفات ص 61، و فقه اللغة، ص 164.

2- اللغة ووسائل الاتصال الجماهيرية (اللغة والوعي القومي) ص 92 .

3-الاتصال، مفهومه، نظرياته (من بحوث الدورة العربية الرابعة للبحوث الإذاعية والتلفزيونية) الرباط 1983، ص1.

4-انظر الإعلام واللغة ص10، 11.

5- الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص15 .
6- انظر: الإعلام ولغة الحضارة، مجلة اللسان العربي 1 مجلد 1 ص360.
7-في النحو العربي (قواعد وتطبيق) ص 84،83 .
8-انظر: الإعلام ولغة الحضارة، ص 377 .
9- الخصائص312/1 .
10-البيان والتبيين6./3
11-الإعلام ولغة الحضارة ص.378
12-البلاغة عند الجاحظ ،د.احمد مطلوب، ص75 .
13- البيان والتبيين61/1.
14-الإعلام ولغة الحضارة، ص 374.
(*)الفرق- ثابت بن أبي ثابت (المتوفي في أواسط القرن الثالث الهجري) طُبع هذا الكتاب بتحقيق: محمد الفاسي(سلسلة تراثنا اللغوي-1)،الرباط- المغرب1973.
(**) نشرته دار الآفاق الجديدة(ط2) بيروت 1977.
15- دلائل الإعجاز ص 199.
16- انظر: الإعلام ولغة الحضارة ص 379.
17- انظر بحثنا المعنون (الإعلام واللغة) مجلة الموقف (المغرب) العدد الفصلي 3 ص 162.
18-انظر: من خصائص العربية، د. أحمد مطلوب، (اللغة والوعي القومي) ص142, 143.وبحوث لغوية ص60-61.
19-المدخل الى وسائل الإعلام، ص127 .
20- انظر: السابق ص133.
21-الإعلام ولغة الحضارة، ص358.
22-المدخل الى وسائل الإعلام ص133 .
23-انظر: سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) ص 162،161.
24- الخطابة ص 29.
25- انظر: السابق ص 193.
26- مفاهيم في الفلسفة والإجتماع ص.42
27-انظر: النقد الأدبي، لأحمد أمين, ص 124, 125.
28- انظر: السابق ص 131.
29- انظر: سر الفصاحة، لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) ص81,51 .
30-انظر: النقد الأدبي الحديث ،د. محمد غنيمي هلال , ص118 ., ص87
31-انظر:الإعلام والدعاية,ص87 .
32-انظر: السابق، ص159.
33- مفاهيم في الفلسفة والإجتماع ص .133
34-انظر: دراسات في فلسفة النحو والصرف، ص 99 .
35-انظر: الإعلام ولغة الحضارة ص345.
36-انظر: الإعلام واللغة ص10، 11.
37-انظر: التركيب اللغوي للأدب، ص 101 .
38- انظر:مدخل في علم الصحافة، 163/1 .
39- الخصائص61/1.
40- أثر القران الكريم في اللغة العربية ص118 .
41- الأسلوبية بين التراث والمعاصرة(من بحوث مهرجان المربد التاسع- بغداد) ص13 .
42-انظر: القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية ص65،64 .
43-الحياة الأدبية في البصرة ص145 .
44-السابق ص150.
45-السابق ص148.
46-انظر:السابق ص147.

47-انظر: السابق ص149.
48-تاريخ الخلفاء ص101، نقلاً عن الحياة الأدبية ص146 .
49-أثر القران الكريم في اللغة العربية ص121.
50- المصطلح النقدي في نقد الشعر، إدريس الناقوري ص 28 .
51-فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ص 235 .
52-لمزيد من التفصيل: أنظر السابق ص 234-235

المبحث الثاني

اشتراطات اللغة التي نريد في إعلامنا المكتوب خاصة، ووسائل الإعلام الأخرى:

تدهورت لغة الكتابة العربية تدهوراً مريعاً،ولاسيما في فترة السيطرة العثمانية إذ بلغت حد الإسفاف والركاكة."حينما اكتسحت البلاد جموع التتر، والمغول فدمرت معالم الحضارة فيها وجعلت كتبها طعما للنيران، فانطوت النفوس، وفترت العزائم،وقعدت الهمم عن طلب العلم، وأخذ الناس يتلهون بالتوافه من الأمور حتى ذوت الحياة العلمية، وتقلص ظلها، واستمر ذلك مدى العهد العثماني"(1).

وما أن أشرق فجر النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر حتى كانت الكتابة العربية ترسف في قيدين ثقيلين: أحدهما،الصناعة اللفظية المتكلفة، والثاني،الركاكة العامية، وغالباً ما كانا يجتمعان في أسلوب واحد. فقد جاء في جريدة الزوراء(العراقية) العدد (1) سنة 1286 هـ /1869م صورة الفرمان العالي بتولية مدحت باشا ولاية بغداد جاء فيه :"دستور مكرم مشير مفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب, متمم مهام الأنام بالرأي الصائب, ممهد بنيان الدولة والإقبال مشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى من أفاخم وكلاء دولتي العلمية"(2).أو قولها الأخر بعد صدور (247) عدداً أي في سنة 1288 هـ "حسبما استبان من الأخبار الرسمية إن مقدار خمسين نفر من أشقياء إيران الذين هم من طرف المحمرة ... قد عبروا شط العرب ليلا وداسوا دان سومات (أبو الخصيب) وجرحوا مأموريها وأخذوا الأموال الرسومية وهربوا. أما الأشقياء الموجودين في المحمرة المذكورة...كانوا قد فعلوا هكذا تجاوزات ووقوعات وهجموا على إدارة رسومات الدواسر وجرحوا بعض المأمورين واخذوا الأموال الرسومية ومضوا حتى ذلك الوقت كانت التبليغات اللازمة في خصوص تأديبهم قد تبدت للحكام الإيرانية لكن ما رأى ذلك من ثمرة"(3).

وفي مصر التي غدت ولاية عثمانية أيضا بعد سقوط حكم المماليك لم تكن الحال أفضل مما هي عليه في العراق، فإذا قرأت الآثار الكتابية في أثناء الحكم العثماني فستجد هذه الآثار أضعف،وأقل من أن تقرن إلى أي عصر من العصور السابقة.ويقارن د. شوقي ضيف بين نماذج من كتابة عهد المماليك،والعهد العثماني،ويأخذ أمثلة لكل من عهد (المقريزي، وابن تغري بردي) في عهد المماليك وابن إياس في العهد العثماني فيقول: "لا تجد عند المقريزي، ولا ابن تغري بردي ركاكة، ولا أخطاء نحوية ولا أخرى لغوية، كما لا تجد ألفاظا تركية،إما عند ابن إياس فإنك تجد ضعف التأليف عامة،والأسلوب واه،والأخطاء النحوية كثيرة، والألفاظ التركية منتشرة. وإذا تركْتَ هذا الجانب من الكتابة التاريخية إلى الكتابة الفنية وجدتها تلفيقاً خالصاً من أساليب السابقين، وهو تلفيق ليس فيه جديد إلا التصنع الشديد لألوان البديع ومصطلحات العلوم"(4). وهذا مايوضحه الإنمو ذج الآتي: وهو بعض ماجاء في افتتاحية جريدة (الوقائع المصرية) لدى صدور أول عدد منها عام 1828: "الحمد لله باري الأمم, والسلام على سيد العرب والعجم، إما بعد فان تحرير الأمور الواقعة مع اجتماع بني آدم، المتدبجين في صحيفة هذا العالم، ومن ائتلافهم وحركاتهم، وسكونهم ومعاملاتهم،ومعاشرتهم التي حصلت من احتياج بعضهم بعضا هي نتيجة الانتباه، والتبصر بالتدبير والإتقان، وإظهار الغيرة العمومية, وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان"(5).

ومن استعراض هذه النماذج يمكن تقييم اللغة التي كانت سائدة في العهد العثماني :

1- اختلاط العامية بالفصحى حتى ليتعذر فهم المراد من قول الكاتب.
2- اضطراب الأسلوب وركاكته.
3- انتشار السجع، ورصف الكلام، والألفاظ من دون النظر إلى معانيها.
4- كثرة الأخطاء النحوية، والإملائية.

إما حال الأدب، فقد انتشر تقليد أساليب السابقين على الرغم من أنهم لم يرزقوا سعة أفقهم، وغزارة علمهم، وصفاء قريحتهم،ولعل هذا ما جعل الشهاب الخفاجي يقول :"إن الأدب في هذه الإعصار، قد هبت على رياضه رياح ذات إعصار، حتى أخلقت عرى المحامد، واسترخى في جَرْيه عنان القصائد، وتقلصت أذيال الظلال، وخطب البلاء، على منابر الأطلال، وعفا رسم الكلام، فعليه مني السلام"(6).

ومن كلام الخفاجي نلحظ طغيان السجع، وغلبة نزعة التقليد التي كانت سمة الكتابة في هذا العصر، وبذل الكُتَّاب جهوداً شاقة في تقليد من سبقهم ومحاكاتهم، فجنت عليهم هذه المحاكاة، وقادتهم إلى العبث بهذه الصناعة حتى تجاوزوا الحدود اللائقة, ووفروا كل همهم للألفاظ، وآزرهم في ذلك فتور النقد، وإعجاب النقاد بهذه الرطانات، حتى كان أحدهم إذا حاول نظم قصيدة،أو تحرير رسالة هدَّم بها من بناء اللغة لبنات وقوض دعائم، ولم تزل تلك مسيطرة على اللغة شعرها، ونثرها، وكلما تقدم الزمن ازداد جمود القرائح وعمَّ الجهل،وصدَّ الأدباء عن التثقيف بالثقافات المختلفة التي تنمي الفطر، وتساعد على التجديد نازعين بالأدب هذه المنازع اللفظية التي أمحلته وأجدبته وعفت على روعته وبهجته، ولاسيما في عهد العثمانيين. (7).

وفي مثل هذا الجو الكتابي عرف العالم العربي الصحافة الحديثة إثر قيام الحملة الفرنسية بقيادة بونابرت على مصر، حيث صدرت جريدة (التنبيه)التي تعد أول صحيفة عربية حسب المفهوم العصري للصحافة،فمصر لم يكن لها عهد بالطباعة قبل مقدم الحملة الفرنسية سنة 1798م،حتى إذا جاء نابليون اصطحب معه مطبعة مزودة بأحرف لاتينية ويونانية،وعربية لطبع ما يحتاج إليه الفاتحون من بيانات، وإبلاغ أوامرهم،فأصدرت صحيفتين فرنسيتين، وأخرى عربية هي (التنبيه) وذلك في سنة 1800م،وعهد نابليون بالإشراف عليها إلى أحد أعوانه (فورييه) الذي كلَّف كاتباً مصرياً(إسماعيل بن سعد الخشاب) كاتب (سلسلة التاريخ) في ديوان الحكومة(8).

ثم تلتها جريدة (الوقائع المصرية) التي أنشأها محمد علي الكبير بعد أن أنشأ المطبعة الأهلية،أو(مطبعة بولاق) الشهيرة وذلك في سنة 1821م، وصدرت عن هذه المطبعة جريدة (جرنال الخديوي) وكانت شهرية ثم ما لبثت أن تحولت بعد سنة 1828 إلى جريدة (الوقائع المصرية) التي صدرت باللغة التركية في أول عهدها ثم باللغتين العربية، والتركية،وعادت فأصبحت عربية محضة، وقد تولى تحريرها نفر من كتاب ذلك العصر على رأسهم الشيخ رفاعة الطهطاوي(9). والغريب في أمر هذه الصحيفة إنها في بداية صدورها كانت تكتب موادها باللغة التركية أولا، ثم تترجم إلى العربية بعد ذلك، وإذا كان الأصل التركي رديء الأسلوب، فما ظنك بالترجمة العربية لهذا الأصل. وبقيت الجريدة على هذه الحال, حتى ولي أمرها رفاعة الطهطاوي في سنة 1842م، أي بعد مرور أربعة عشر عاما من صدورها. ولعل أهم ما ميز هذه الجريدة بعد تولي الطهطاوي أمرها، أن موادها كانت تكتب بالعربية أولا ثم تترجم إلى التركية. وبذا كسبت العربية على يده الكثير إذ اعتبرت هي الأصل، والتركية الفرع، ثم إضافة بعض القطع الأدبية التي أحسن اختيارها، وأخيرا ظهور المقال الصحفي(10).

إما في العراق فإنَّ لغة الصحافة عند نشأتها لم تكن بأفضل من الصحف الأخرى الصادرة في ولايات الدولة العثمانية آنذاك فأسلوبها "لا نقدر إن نقول عنه عربيا،ولا مولدا وأحرى به إن يكون لغة خاصة لا يفهمها إلا قليل ممن ألفوها أو ممن يفهمون التركية" (11).

أمااليوم، فقد اتسعت أغراض النثر،وكثرت فنونه، إذ لم يدع شأناً من شؤون الحياة إلا تناوله، وبتعقد الحياة الحديثة كثرت المشكلات، وتعددت النزعات، وقد وسّع النثر هذه الشؤون كلها، وتفرع وتنوع حسب مايتناوله من موضوعات، وما يناسب كل موضوع من منهج وأسلوب،وقد ساعد على ذلك انتشار الصحف(12)والمجلات،التي يبالغ بعض الباحثين الصحفيين في

بيان فضلها على اللغة العربية، بالقول: فـ"الأسلوب السهل المشرق الذي وصلنا إليه اليوم في الكتابة بلغتنا العربية، لا يعود الفضل فيه إلى معلمي اللغة في المدارس والكليات، ولا يعود الفضل فيه إلى الكتاب والأدباء القدامى، بل الفضل الأول في هذا الأسلوب يعود إلى صحافـة اليوم"(13). وذلك لأنها: طوعت اللغة، وجعلتها مرنة تفي بمتطلبات العصر، وتستوعب التطورات العظيمة التي صاحبت النهضة في ميادين الحياة المختلفة، فقد أشاعت ألفاظاً،واستحدثت ألفاظا جديدة ومصطلحات جديدة، ووسعت آفاق اللغة، وطورت أساليبها في العلوم،والفنون،والاجتماع،والسياسة(14).فالإعلام،والصحافة بوجه خاص قد حققتا للغة العربية كل ما كان يأمل فيه المجددون من رجال اللغة، وكل ما نادى به الغيارى على هذه اللغة من وجوب تبسيطها، بحيث يفهمها أكبر عدد ممكن من القراء، ومن وجوب تزويدها بالحيوية الكافية حتى لا يضيق بها أحد من القراء، بل من وجوب تطويرها حتى تتسع للتعبير عن كل جديد، أومستحدث في الأدب، والعلم، والفن جميعاً.

إنَّ الصحافة وغيرها من وسائل الإعلام قد حققت ما يهدف إليه المجمعون من محافظة على سلامة اللغةالعربية،وتمكينها وهي قادرة على الوفاء بمطالب العلوم، والفنون.(15).وإذا كان جزءاً من هذا التقييم يصدق على بعض رواد الصحافة العربية الذين وقفوا بين طريقين:(العامية والفصيحة) ثم هداهم التفكير إلى إن يختاروا لأنفسهم حلاً وسطاً لهذا الموضوع،وهذا الحل هو:أن يكتبوا مادتهم في الصحف باللغة العربية التي هي لغة القرآن على أن يخفوا شيئاً فشيئاً من القيود الكتابية التي كان يرسف في أغلالها الأدب الشائع خلال القرن التاسع عشر(16).تسعفهم على ذلك قدرتهم اللغوية،وتمثلها (قواعد ومفردات وأساليب)على الرغم من إن ذلك ليس حكما عاما على كل ما كتب في ذلك الوقت،ولاسيما إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما فعلته الترجمة التي مانزال نقاسي الأذى مما خلفته في لغتنا الكريمة لأن كثيرا من صحف القرن الماضي: "كانت تعتمد في أكثرها على المقالات المترجمة في شتى العلوم الحديثة،وأن هذه الصحف كانت معرضا عاما لهذه الثقافة، وأن صبغة الترجمة غلبت على هذه الصحف" (17).

لغـة الصحافة المعاصرة :

إن الأمر يختلف الآن كثيراً عما كانت عليه لغة الصحافة في بدايتها،إذ لم تسلم هي الأخرى من النقد،والتصويب اللغوي ومحاولة تقويمها (18).لأن تبسيط الأسلوب،وإيضاحه صار يعني لدى الكثير من الكتاب الصحفيين الخروج على قواعد اللغة التي تعارف عليها الأسلوب العربي في صياغته،وهندسة الجملة العربية من حيث البناء،ودلالة ألفاظها:(الصرفية) التي تستمد عن طريق الصيغ، وبنيتها، و(النحوية) إذ يحتم نظام الجملة العربية ترتيباً خاصا لو اختل لأصبح من العسير أن يفهم المراد من الجملة،ومن ثم (المعجمية).

إن الجملة العربية حين تتركب من عدة كلمات تتخذ كل كلمة موقعا معيناً من هذه الجملة، بحيث ترتبط الكلمات بعضها ببعض على حسب قوانين لغوية خاصة تعرف بالنظام النحوي، وفيه تؤدي كل كلمة وظيفة معينة،ولا يتم الفهم أو يكمل إلا حين يقف السامع على كل هذه الدلالات.وليس من الضروري أن تتصور السامع على علم بالنظام الصرفي، والنحوي في اللغة على الصورة المعقدة التي نراها في كتب النحاة الأول. ولا نفترض في السامع لكي يتم فهمه لجملة من الجمل أن يكون قد اتصل أي نوع من الاتصال بعلوم اللغة من نحـو، وصرف، بل يكفي إن يكون السامع قد عرف عن طريق التلقي،والمشافهة في تجارب سابقة الفرق بين استعمال كلمتي:(الكذّاب)و(الكاذب).(19)

إن اللغـة العربيـة لغـةٌ حساسة بل هي دقيقـة الإحساس في مفرداتها، وأساليبها جميعاً، فما يكاد يصيب هذه، أو تلك شيء من تغيير حتى يكون له صدى في معناها على وجه من الوجوه، لأنَّ المعنى يتأثر بكل ما يدخل الكلمات والأساليب من تغيير، مهما كان موضعه، وأياً ما كان نوعه ومقداره، كما أن التغيير الذي يدخل على العبارة بتقديم، أو تأخير،وتعريف أو تنكير وإطلاق،وتقييد،وذِكْر، وحَذْف لابد له من صدى في معنى الجملة، قوي كان،أو ضعيف.

إن كتاب الصحف عندنا لا يهتمون بهذا كثيراً، إما عمداً بدعوى التبسيط ومسايرة الواقع اللغوي المتردي، وأما جهلاً،وهذا هو منهج الأكثر منهم، يقول أحد الصحفيين العراقيين البارزين في اختصاصه: "نحن نعيش واقع الذين يقومون بالعملية الإعلامية،وغالبية من الكتاب والمثقفين والمبدعين، فان دراساتهم اللغوية ضعيفة، وفي بعض الأحيان معدومة"(20).على الرغم من تأكيد الباحثين في مجال الإعلام أهمية اللغة،وضرورة مراعاتها في صياغة مفرداتها،وضبطها واحترام قواعدها كما سنرى.

التحريـــر الصحفي:

يقسم الإعلاميون أشكال التحريرالصحفي على أقسام، الشائع منها: الإخبار،وتفسيرها،والتعليق عليها، والحديث، والتحقيق الصحفي،والمقال،أو الافتتاحية(21).ويشترطون لكل قسم شروطاً معينة نذكر منها ما له علاقة بموضوع اللغـة، ففي الخبـر يشترطـون كتابتـه بوضـوح (22)، إما التفسير، والتعليق فيصفونهما،أن الأول يهدف إلى توضيح الإخبـار للقارئ، في حين أن الثاني يختص بإبـداء الرأي فيه(23).

ويهدف **الحديث الصحفي** ثلاثة أشياء،هي:الحصول على الإخبار،أو على وجهة نظر،أو التعريف بشخصية،وعند نشره يشترطون وجوب اختيار ما يهم الرأي العام ولاسيما عند كتابة العنوان،وعامل الربط بين أجزاء الحديث، لأنه يؤدي إلى تسلسل الأفكار(24).

والتحقيق الصحفي هو عبارة عن أخبار بمفهومها العام،وهو من أهم الفنون الصحفية، وفيه قدر كبير من الحقائق والمعلومات عن موضوع معين،أو ظاهرة معينة، بناءً على طلب محدد، أو على وفق غرض مقصود، لذا **نراهم يوجبون على محرره تقديمه بإسلوب ممتاز**،ولا يمانعون في حالة التحقيق من استخدام الأسلوب الأدبي.

إما **المقال:** فهو أول الأشكال الصحفية الذي يعبر عن رأي الصحيفة، ويطلق عليه أحيانا لفظ **(الافتتاحية) فيشترطون فيه اختيار الألفاظ** لأنها تحدد إلى حد كبير طابع الافتتاحية،ويتحكم في الألفاظ نوع اللهجة التي يريد الكاتب إعطاءها للمقال،وقد يستخدم الكاتب السخرية اللاذعة، أو **الأسلوب العلمي في افتتاحيات مطولة**،ورزينة (25). لذا فإن **المقال أحد فنون النثر، يخضع لهيكل عام،هو: المقدمة،والعرض، والخاتمة**.كما أن(الذاتية) سمة بارزة فيه، لأن شخصية الكاتب واضحة فيه، وهو تعبير عن قناعة الكاتب ورأيه.

ويتساءل د. عبد الطيف حمزة عن لغة المقالة الصحفية، ثم يجيب : **هل ينبغي أن تكتب المقالة الصحفية بلغة لا حظ لها من العناية باللفظ، أو تجويد الكلام؟** وهل معنى ذلك إنها يجب إن تكون فوضى، لا حظ لها من النظام؟

الجواب عن ذلك:إن المقالة الصحفية لها حظ من العناية باللفظ،وبالأسلوب،كما أنَّ للمقالة حظاً من النظام.(26)

أنـــواع المقــال :

1-المقالة الشخصية: تدور حول شخصية الكاتب، وتسجل رأيا من آرائه، أو خاطرة من خواطره.

2- المقالة الوصفية : يعمد الكاتب الى وصف الأشياء لتوضيح أفكاره التي يريد عرضها، فالوصف وسيلة لا غاية، لأنه وسيلة لتأكيد رأي الكاتب الذي يرغب في إيصاله الى الآخرين.

3- المقالة السياسية: ويمتاز أسلوبها بالسهولة،والإيضاح،والتصوير، وإثارة العواطف،والتكرارالتأكيدي، والغمز، والتجريح،وأحيانا المغالطة والمبالغة.

4- المقالة الإجتماعية: موضوعها مستقى من صميم المجتمع ، وما أكثر المشكلات الإجتماعية التي يستطيع الكاتب معالجتها في مقالته.كما أن السبب في ظهورها في هذا العصر،هو إنشاء الصحف والمجلات،إذ لم يكن الغرض منها إخباريا فقط،ولكنها وسيلة لمعالجة الحالات السياسية، والإجتماعية، والخلقية ،والاقتصادية.ويختلف أسلوب المقالة الإجتماعية عن غيرها من أنواع المقال من وجوه كثيرة،أهمها: **جمال الأسلوب** قصد التأثير العاطفي، **والوضوح**، والمنطق قصد الإقناع،والبيان،مع **صحة العبارة** ،وقصد المعنى، وجلاء الفكرة.

5-المقالة الأدبية والنقدية: وقد يكون النقد أدبياً، أو علمياً، أواجتماعياً. وهناك نوع من المقالات الأدبية بالمعنى الخاص(الأدبي).

6 -المقالة العلمية : تتناول موضوعا علمياً، أو تاريخياً، أو طبياً يقوم الكاتب بشرحه،وتفصيل غوامضه، وإبداء الرأي فيه.

7-المقالة الفلسفية:تعالج القضايا الشائكة كـ(الحياة، والموت) وغيرها من القضايا التي يرغب الكاتب في إبداء وجهة نظره فيها.

وهناك مقالات يصح أن نسميها(مقالات علمية) بالمعنى الواسع، فتشمل المقالات الإجتماعية، كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثاً علمياً.

إنَّ ُ ماتقدم يندرجُ تحت **عنوان(التحرير الإعلامي)**، الذي يقصد به إعداد (الرسالة) الإعلامية التي تنقل إلى الجماهير عن طريق إحدى وسائل الإعلام، من خلال عملية عرض فني تساعد الناس على تكوين رأي صائب يعبر تعبيراً موضوعياً عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم،والذي يعني دائماً أمرين هما: **التفكير** من جهة، **والتعبير** من جهة أخرى (27).

والخلاصة أنهم أوجبوا إن يكون الصحفي سلس العبارة، عذب الحديث قريب الفكرة، بعيداً – ما أمكنه- عن إجهاد القارئ وإعناته بلون من ألوان البحث في الموضوعات المجردة(28).

لغة المرسل: مما تقدم يتضح لنا أن أشكال التحرير الصحفي(الإعلامي) بأقسامها الشائعة **أكدت لغة (المرسل) في إعداد (الرسالة) الإعلامية**،واشترطت فيها:اختيار الألفاظ المناسبة، الوضوح، والدقة، والإيجاز،والربط بين أجزاء الموضوع، والعرض بإسلوب ممتاز. **وهذه الشروط هي ما اشترطه اللغويون وتوصلوا إليه عند دراستهم للغة وتقعيدها**، وتقرير فنونها التعبيرية – أدبية أو علمية- فبدؤوا بالكلمة لأنها اخص من اللفظ، وهي لفظ وضع لمعنى، ومن معاييرهم فيها: إن تكون جارية على القواعد العربية في التصريف غير شاذة، حسنة الوقع، فتسمية الغصن غصناً،أوفننا أحسن من تسميته عسلوجاً، وأن لا تكون عامية مبتذلة بليت بالاستعمال، أو وحشية غريبة غير مألوفة، أو كثيرة الحروف(29).

قال الجاحظ:(وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك الى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك.ومن أراد معنى كريما فليلتمس له لفظاً كريماً، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف، ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما..وكن في

ثلاث منازل.فإن أولى الثلاث:أن يكون لفظك رشيقاً عذباً،وفخماً سهلاً،ويكون معناك ظاهراً مكشوفا،وقريبا معروفا).

وقال في الإيجاز:(وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه، فإذا كان المعنى شريفاً، واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيدا من الاستكراه،ومنزهاً عن الاختلال،مصوناً عن التكلف،صنع في القلب صنيع الغيث في التربة الكريمة، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريط، ونفذت من قائلها على هذه الصفة، أصحبها الله من التوفيق، ومنحها من التأييد ما لا يمتنع من تعظيمها به صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة)(30).

وهذه **الشروط** إن توفرت في كلمة ما، فإنها لابد من أن تكون واضحة، دقيقة في الدلالة على المراد منها، وهي على هذا ليست كافية لحسن التأليف إذ لا يكتفي بأن **تكون الألفاظ في نفسها مليحة رائقة،بل لابد من حسن تأليفها مع أخواتها،**فأن اللفظ،والمعنى إذا كانا رائقين، **وألفا مع غيرهما من الألفاظ تأليفاً غير مرتبط كان ذلك كالعقدالذي أفسده الناظم(31).**

إن حسن التأليف وهو المعتبر في الكلام وصف "بحسن الدلالة، وتمامها في ما كانت له دلالة، ثم تبرجها في صورة أبهى وأزين، وآنق وأعجب، وأحق بأن تستولي على هوى النفس وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب, وأولى بان تطلق لسان الحامد، وتطيل برغم الحاسد، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال:غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته, ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأحرى بأن يكسبه نبلاً، ويظهر فيه مزية. وإذ كان هذا كذلك فينبغي إن **ينظر إلى الكلمة** قبل دخولها في التأليف،وقبل أن تصير إلى الصورة التي بها يكون الكلم إخباراً، وأمراً، ونهياً، واستخبارا، وتعجباً، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى أخرى, وبناء لفظة على لفظة"(32).

إن ذلك البناء اللغوي للجملة يبقى محتاجاً إلى علم (النحو) الذي يبحث عن أحوال الكلمة، والكلام من حيث الإعراب والبناء، هو علم استخرجه العرب من استقراء كلامهم، وتظهر أهميته في إن العرب قصدت بلغتها الإفصاح والبيان، فذلك هو المقصد الأصيل باصطناع اللغة في التعبير، وإنها لذلك زودت الكثرة البالغة من كلماتها بالإعراب، يلازمها ويبين معانيها، ثم أقبلت على الكلمة التي حرمت من مزية الإعراب تعوضها في لفظها، أو في مواطن استعمالها، أو فيهما جميعاً بما يبين عن معانيها كذلك، فإذا المعربات أكثر تصرفاً، وأوفر نشاطاً في مطالب القول من المعربات.

ولأننا لا نملك الحق في إنكار الإعراب،أو التساهل فيه، لأن معنى ذلك أن لا نسمي كلامنا بدونه كلاماً عربياً: فليس في هذا شيء من صدق التسمية، لأنَّ الكلام العربي كما جاء عن أصحابه الأولين هو هذا الذي يتمثل في كلام الله،وأحاديث الرسول(ص) وفي كل كلام مأثور من المنظوم والمنثور، وكله كلام معرب،وفي حالة إنكاره أو إغفاله تنعدم صلة النسب الوثيق بين هذا وذاك(33)

ويصف **عبد القاهر الجرجاني الزهد في النحو،واحتقاره، وإصغار أمره، والتهاون فيه بالشناعة** لأنه: "أشبه ما يكون صداً عن كتاب الله، وعن معرفة معانيه ذاك لأنهم لا يجدون بداً من إن يعترفوا بالحاجة إليه فيه، إذ كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يتبين نقصان الكلام، ورجحانه حتى يعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه، وإلا من غالط في الحقائق نفسه"(34).

ولما كانت **حركات الإعراب تقوم بالجزء الأكبر من وظيفة النحو** في تعيين صلة الكلمات بعضها ببعض في الجملة الواحدة بحسب المعنى المراد، **فهي ليست شيئاً زائداً، أوثانوياً،** وهي لم تدخل على الكلام اعتباطاً، وإنما دخلت لأداء وظيفة أساسية في اللغة إذ بها يتضح المعنى ويظهر، وعن طريقها تعرف الصلة النحوية بين الكلمة والكلمة في الجملة الواحدة. وليس معنى الإعراب في اللغة ببعيد عن هذا المعنى الاصطلاحي ، فالإعراب لغة:الإفصاح. ومن هذا يقال للرجل الذي أفصح بالكلام: أعرب (35).

إن الإعراب في العربية مزية حافظت عليها اللغة في تاريخها الطويل، وينبغي إن تبقى محافظة عليها، لأن التخلي عن الإعراب في لغة تعتمد حركات التعبير عن المعاني النحوية هدْم لها، وإماتة لمرونتها، ثم إن الإعراب في مبدئه القائم على الحركات لغة ثانية نضيفها إلى لغتنا الأولى التي هي الألفاظ، فإذاً نحن أمام ثروة لغوية لا نفاد لها، وإذا كانت بعض اللغات مجبرة على إن تبتدع لكل معنى من المعاني لفظا خاصا به، فان العربية تستغني عن الكثير من الألفاظ بتلك الحركات التي تضعها على الألفاظ القديمة لتصبح لها مدلولات جديدة.. إننا بالحركة وحدها نميز بين القِرى والقَرَى، وبين العالِم والعالَم(36)، وبين (كَتَبَ) الفعل،و(كُتُبْ) الاسم، وبين المستغِل، والمستغَل.

ولا يفهم من هذا انه **إنكار لسنة التطور التي لابد من إن تشهدها أية لغة،** إذا كانت حية لأنها كائن حي متطور يقتضي إن تمسه سنة التطور، وما تستوجبه مطالب الحياة الجديدة، إلا إن هذا التطور لا يعني إنكار **فضل النحو على اللغة،** وانتقاص أثره في صيان9تها، فهو المعيار عليها والضابط لها من إن يشوبها لحن، أو تحريف، ولكننا مع ذلك لا نشارك في المغالاة به، ولا نوافق على التصرف في أمره بما يوهم انه اللغة، وان النهوض به، أو تيسيره إنما يعني النهوض باللغة أو تيسيرها, فاللغة في صميمها شيء غيره، والنهوض بها يتطلب مع تيسير النحو أعمالا أخرى متعددة. فاللغة كما لا يخفى هي هذه الآثار الأدبية القيمة التي تحفل بها كتب الأدب في القديم والحديث، أو هي على التعميم لغة المعرفة الصحيحة، في كل جانب، ومن كل لون(37).

إن التطور الذي يجب إن تشهده اللغة لتكون وافية بمطالب عصرها،لا يعني بالضرورة تغيير مقوماتها، والاعتداء على شخصيتها،والتقليل من قيمة ضوابطها: " لأنَّ النظم ليس إلا إن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها"(38).

بقي لنا من شروط الإعلاميين في لغة التحرير الصحفي تأكيدهم: (عرض الموضوع بإسلوب ممتاز) وذلك حق طبيعي لكل (مُرْسل) في إن يعبر عما يريد بإسلوبه الخاص، وليس في العربية قوالب جاهزة يهتدي (المرسل) بهديها " فالإسلوب على ما نبه عليه عبد القاهر، وصرح به ابن خلدون هو: (الصورة الذهنية المنتزعة من أوضاع لغوية) ومصداقها الفعلي هو ما يصح إن نطلق عليه (طريقة المتكلم في استخدام اللغة).فهو وجهان لشيء واحد: كيفية تحصل في العقل، ورسم بالكلمات"(39).

وإذا **كان (المُرْسل) حراً** في اختيار أدائه الإسلوبي، إلا انه ملزم بما اشترطته (الإسلوبية) العربية، وذلك أن يكون الكلام تركيبا لفظيا امتاز بصحة المعنى، وصدق الأداء، وحسن موقع الكلام في الموضع الذي اختير له من دون إغفال النظر في:الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يعرف في ما حقه الوصل، ويتصرف في التعريف والتنكير،والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار، فيضع كلاً من ذلك مكانه، ويستعمله على الصحة، وعلى ما ينبغي له(40). وكل ذلك يؤلف بنية واحدة تتشكل من الألفاظ والمعاني، والعلاقات بين الأشياء، التي يصفها عبد القاهر الجرجاني أنها:"مما يصنعه الصانع حين يأخذ كسراً من الذهب فيذيبها، ثم يصبها في قالب،ويخرجها لك سوارًا أو خلخالاً"(41).وليس لامرئ إن يبالغ في استصعاب ما مرَّ ذكره، **لأنَّ العربية من أغزر اللغات مادة**، وأطوعها في تأليف الجمل،وصياغة العبارات المتنوعة، تتوارد على المعنى الواحد، فتجلوه في معارف شتى من الإيضاح والتصريح أو التكنية والتلميح،أوالحقيقة، أو المجاز في ضروبه المختلفة، ومن الإيجاز إلى الإطناب والمساواة،إلى كثير من ضروب الأداء المبسوطة في كتب البلاغة،وما يتصل بها من علوم، ولاسيما أن الإعلاميين أباحوا الاستعمال الأدبي في التحقيق الصحفي،ووصفوا الرسالة الإعلامية بأنها (عملية عرض فني) كما تقدم.

إن **عملية العرض الفني ليست غريبة على العربية فقد جربها العرب الأول في العلوم النقلية** التي لا تحاول التعليل والقياس،لأنها تورد النصوص بشكلها المبسط الذي يتصف بالوضوح، والجمال في التعبير عن مختلف الأشياء المادية، وأدق الأفكار المجردة ، وهذا ما اشرنا إليه في الاسلوب العلمي واقترحنا إن تندرج لغة الصحافة تحت لوائه.

تبقى لدينا مسألة أخيرة, هي مسألة (العنوان الصحفي) وهو عنصر مهم في الصحيفة، ويتوقف عليه إلى حد كبير نجاحها، كما تعد كتابته نصف العمل الصحفي، ومن **جملة شروطهم فيه**:أن يكون قصيراً في كلمات واضحة حية، يتوفر على عنصر الإثارة، مركزاً إلى أبعد حد، ذا كلمات مختارة لنقل الفكرة(42). **وهذه الشروط التي ذكروها لا يمكن تحقيقها ما لم يكن الكاتب متمكناً من لغته، خبيراً بأسرارها، وقواعدها، ملماً بمفرداتها، مختارا لأحسنها وقعاً وأبلغها دلالة.**

ولا نعتقد أن أية لغة أخرى غير العربية يمكن إن تستوفي هذه الشروط مجتمعة (البلاغة،الإثارة،الإيجاز)، وتبقى مقدرة الصحفي على استخلاص ما يفيده،ومهارته المرهونة بتمكنه من اللغة. وقد حدد أحد الصحفيين العرب العلاقة بين الصحفي والعنوان، قائلاً:إن صناعة العنوان تحتاج إلى إن يكون بين صانع العنوان واللغة عمار.. أي أن يكون متحكماً في اللغة بحيث تطيعه من غيرعناء(43)

وخلاصة الأمر، يبدو إن نقطة الخلاف بيننا وبين الصحفيين هي في (التبسيط) وكيف يكون؟ فالإعلاميون يكتبون غالباً بمعزل عن كل ما اشترطه اللغويون في الميدان اللغوي، وهم إذ يقررون في بعض الأحيان وجوب مراعاة حرمة اللغة، وصونها سرعان ما يتناسون ذلك أمام **إغراء التبسيط ، والوضوح الذي يعني عندهم: الكتابة من دون ضوابط مقررة، وقواعد مقننة، حتى قال أحدهم :" على الاسلوب الصحفي إن يتخذ شكلاً سهلاً، يقترب من الاسلوب الدارج.** وعلى الصحافة إن تقدم الأحداث اليومية ببساطة، ووضوح، وواقعية مبتعدة عن الاستعارات، والكنايات، والتشبيهات، والألفاظ الزائدة، وعن كل تعقيد، حتى يسهل على جميع القراء فهم محتواها، على الرغم من تفاوت مستوياتهم الثقافية"(44).

ويضيف:إن الصحف عادة ما تتحرر من بعض القيود اللغوية، ولاسيما عند كتابة العناوين المختصرة،ومن بعض ما يوجبه على الصحفي،وضرورة مراعاته:

* الاستغناء عن الكلمات الزائدة، كـ(أدوات التعريف، والصفات، وظروف المكان، والزمان).
* حروف الإضافة، وحروف الربط التي لا ضرورة لها.
* استخدام الألفاظ المعرّبة الأكثر استعمالاً من الألفاظ العربية (45).

إن اللغويين العرب يدعون إلى التبسيط في هذا الميدان أيضا، لأنهم يقررون إن مستوى الأداء في الأدب يختلف في غيره سواء ما كان لتصريف الشؤون العامة،أو ما كان فنياً بحتاً، لذا **فإن المقصود بالتبسيط هو:(الفصيحة الوظيفية المتداولة لاالفصيحة المقعرة االمقعرة)**، وذلك من خلال: تبسيط القواعد التي تعصم من الزلل، واللحن شرط أن لا تغير من مقاييس الصحة في العربية الفصحى. وذلك لأننا ندرك إن الخطاب الإعلامي موجه لجميع الناس، وهم لا يتساوون في المستوى الثقافي، ولاسيما أن

نسبة الأمية في مجتمعنا العربي ما زالت كبيرة. يضاف إلى ذلك إن وسائل الإعلام امتلكت تأثيراً واسعاً في عملية التثقيف والتربية والتعليم،وقد أظهرت الدراسات والبحوث الميدانية التي أجريت في هذا المجال إن الإنسان يتعلم (83 %) عن طريق حاسة البصر و(11 %) عن طريق حاسة السمع، ويتذكر(20%) مما يسمع، و(50 %) مما يسمعه، ويراه.(46)

وعلى الرغم من أن هذه النتائج تؤكد اختلاف التأثير بين وسائل الإعلام،إذ يبرز التلفاز وتأثيره في الجماهير،إلا إنها تدلنا على الخطر الذي امتلكته هذه الوسائل في الثقافة والتعليم،ولاسيما إذا أخذنا بنظرالاعتبار خطر التعليم عن طريق المشافهة، والتلقي.

إذن يتفق اللغويون،والصحفيون على التبسيط، وضرورته، ولكنهم يختلفون في مسالكه، فكتاب الصحف أكثر تحرراً في الميدان اللغوي لأنهم ينطلقون من وَهْم: أن اللغة ما هي إلا وسيلة تخدم هدف(الرسالة الإعلامية)، وهو(الإبلاغ)، وليس من ضرورة توجب مراعاة هذه الوسيلة وصولاً الى الغاية المنشودة، ثم يتذرعون بصعوبة اللغة العربية، وتعقيد قواعدها، وعسر قواعد الإملاء فيها، وأخيراً قصورها عن مسايرة ركب الحضارة، لأنها لا تستوعب جميع ألفاظها، وهذا يعطيهم الحق في العبث باللغة كأنها ميراث خاص بهم دون سواهم متناسين أن اللغة هي ميراث الأمة عبر عصورها المختلفة،وهي:" ملك لكل الناس يتكلمونها،ولكنه ليس من حقهم جميعا أن يتصرفوا بها بحسب أهوائهم،وهم لو فعلوا لكانت اللغة أمراً فردياً لا يحقق الغاية التي وجد لتحقيقها"، وهي إيجاد التفاهم الاجتماعي (47) .

الآثار السيئة التي تركتها حرية التصرف:

إنَّ الآثار السيئة التي تركتها حرية التصرف هذه يمكن أن نؤشر أبرزها في:

1- التوسع في الاشتقاق، من دون مراعاة الضوابط اللغوية في هذا الميدان.
2- ظهور تعبيرات،وألفاظ خاصة في الصحف بدعوى إنها أخف وقعا على مسامع القراء على الرغم من وجود ألفاظ عربية صحيحة تؤدي المعنى المراد.
3- إستعمال كلمات عربية الأصل، إلا أنها غير موفقة في الدلالة على المعنى المقصود.
4- الاستهانة بالقواعد النحوية.
5- تغليب العامية، خاصة في وسائل الإعلام السمعية، والبصرية.
6- الكتابة بأساليب جديدة هي تقليد للإسلوب الأجنبي ومحاكاته، والابتعاد عن الأساليب العربية.
7- فسح المجال لانتشار كثير من المصطلحات الأجنبية على الرغم من وجود ما يقابلها في اللغة العربية.
8- استخدام لغة ملتوية أو مرتخية، وذلك بإفراغ المعاني من محتوياتها.
9- تكريس الأخطاء الشائعة.
10- عدم الأخذ بما يصوب من هذه الأخطاء بدعوى:إن الخطأ المشهور خير من الصواب المهجور.
11- التوسع في دائرة دلالات الألفاظ وتحميلها من المعاني الجديدة ما لم تكن تدل عليه من قبل، متناسين الألفاظ العربية التي أصابها تطور دلالي، أو أصابت حظاً من التطور ألفاظ قليلة أولا، ثم إن التطور الذي أصابها لم يخرج بها غالبا عن دلالاتها الأولى.

إن ما ذكرناه ليس اجتهاداً بقدر ما هو عملية رصد لبعض الأخطاء التي دأبت صحافتنا على تكرارها، وقد تنبه إلى جزء منها أساتذة أفاضل عزّ عليهم ما تفعله بعض الكتابات الصحفية من انتهاك لأبسط القواعد اللغوية،.

وأخيراًً، لا بد من كلمة حق تقال في تثمين دور الصحافة في نشر الثقافة، وتعميمها على الرغم من إشاعتها كثيرا من الضعف اللغوي والأدائي. فقد أسهمت بعض الصحف، والمجلات العربية منذ نشأة الصحافة العربية في القرن التاسع عشر في إشاعة جو من الثقافة التي كانت ضرورية لاستكمال النهضة العربية الحديثة، وإحياء اللغة العربية، وجعلها قادرة على الإيفاء بمتطلبات عصرها، من أمثال جريدة (الجوائب) التي هي أول صحيفة عربية قوية ظهرت في اسطنبول سنة (1860)م,أنشأها أحمد فارس الشدياق الذي اشتهر بحبه للعربية، وتفانيه في خدمتها, فكانت جريدته لا تخلو من المناظرات العلمية، والأدبية واللغوية التي دارت بينه، وبين أكابر علماء عصره(48).

كما أسهمت مجلة (الجنان) التي أسسها المعلم بطرس البستاني (1870م)، والتي اشتهرت من خلال شهرة مؤسسها وتأليفه قاموس (محيط المحيط، ودائرة المعارف) في خدمة اللغة وآدابها(49).

إما مجلة (المقتطف) فهي أقدم مجلة أدبية راقية في عالمنا العربي، أنشأها في بيروت د. يعقوب صروف وفارس نمر سنة (1876م)، وتركت تأثيرا مباشرا وبارزا في النهضة الثقافية والأدبية في العالم العربي(50).

وفي العراق لم تتح للصحافة العراقية فرصة المشاركة في هذه الحركة اللغوية التي كانت تجري في الصحافة العربية، لتأخر العراق في إصدار الصحف الشعبية نتيجة ظروف البلاد الخاصة. غير منذ ظهور هذه الصحف, بدأت تشعر بالمسؤولية، وأولت هذه الناحية ما تستحقه، ولاسيما جريدة (الرقيب)، و (صدى بابل) (51).

إلا إن خدمة اللغة العربية في الصحافة العراقية خدمة لغوية صرفة لم تظهر إلا في بداية العقد الثاني من القرن العشرين بظهور مجلة (لغة العرب) لصاحبها العلامة اللغوي الأب انستاس ماري الكرملي (1866-1947م) الذي أسدى للعربية من خلالها خدمة لا يمكن إغفالها، أو تجاوزها (52).

****

الهوامش:

1-الأستاذ حبيب الراوي، مجلة المعلم الجديد، عدد 6 (1956) ص 15، نقلا عن الأدب في صحافة العراق ص 23.
2- 3- نقلا عن الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين ص 50،
4- الفن ومذاهبه في النثر العربي ص 388 .
5- الصحافة العربية, نشأتها وتطورها ص 433 .
6-انظر: مقدمة" ريحانة الالباء" ، ص4 نقلا عن الفن ومذاهبه في النثر العربي ص388 .
7-انظر:الصبغ البديعي في اللغة العربية ص356 .
8-انظر:الصحافة العربية نشأتها وتطورها ص140, 148 .
9- انظر: السابق ص 149، وأدب المقالة الصحفية في مصر 108/1.
10-انظر: أدب المقالة الصحفية في مصر108/1 وما بعدها .
11-الأدب في صحافة العراق ص57 .
12-إن الصحافة في عصرنا هذا لها معنيان: معنى ضيق ومعنى واسع، والمقصود بالأول:الصحف والمجلات والنشرات، والمقصود بالثاني- وهو المعنى الواسع -جميع وسائل الإعلام المعروفة في وقتنا الحاضر .انظر: الإعلام والدعاية ص 46.
13-الصحافة العربية, نشأتها وتطورها, ص441 .
14-اللغة ووسائل الإعلام الجماهيرية (اللغة العربية والوعي القومي) ص95.
15-المدخل الى وسائل الإعلام, ص156 .
16-17 انظر: أدب المقالة الصحفية في مصر, ص85، 86 .
18- صدر العديد من الكتب التي اهتمت بتصويب لغة الصحافة منذ صدورها، فضلا عن الكثير من المقالات، والدراسات.
19-انظر:دلالة الألفاظ, ص 47-49 .
20- ماجد السامرائي (مناقشة) اللغة العربية والوعي القومي, ص107 .
21-مدخل في علم الصحافة ,129/1 .
22, 23- السابق ص130، 141.
24, 25 - السابق، 144، 149، 150، 153، 155،156 .
26-انظر: أدب المقالة الصحفية في مصر , 214/1 .
27-انظر : المدخل الى وسائل الإعلام , ص15 .
28-أدب المقالة الصحفية في مصر 214/1 .
29-انظر:كتاب سرالفصاحةلابن سنان الخفاجي،(دراسة وتحليل) ص 75-77 .
30- البيان والتبيين 59/1،86.
31-انظر: كتاب سر الفصاحة،ص51 .
32-دلائل الإعجاز، ص23.
33-انظر: من قضايا اللغة والنحو, ص26 .
34- دلائل الإعجاز، ص35.
35-انظر: اللسان , مادة (عرب) .
36- انظر: نحو وعي لغوي , ص106 .
37- انظر: من قضايا اللغة والنحو, ص 116 .
38- دلائل الإعجاز ، ص 64 .
39-الأسلوب بين التراث والمعاصرة(من بحوث المربد الشعري التاسع) ص 7.
40-41 - دلائل الإعجاز، ص 415 .
42-انظر: مدخل في علم الصحافة 166/1, 169-171 .

43-العنوان الصحفي , فتحي خليل , ص13 .
44-مدخل في علم الصحافة , 160/1 .
45-انظر: السابق، ص 161-163.
46-وسائل الاتصال الجماهيري ودورها في نشر لغة عربية صحيحة (اللغة العربية والوعي القومي), ص 86 .
57- نحو وعي لغوي, ص58 .
58-59-الصحافة العربية, نشأتها وتطورها , ص 152, 170, 178 .
50- 51- الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين, ص 88، 92.

****

المصادر والمراجـع:

أولاً: الكتب:

1- أثر القران الكريم في اللغة العربية، احمد حسن الباقوري, دار المعارف - مصر ، ط2, 1973 .
2- الأدب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين، د. عناد إسماعيل الكبيسي. مطبعة النعمان- النجف 1972 .
3- أدب المقالة الصحفية في مصر، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي- القاهرة, ط2, 1958 .
4- الإعلام والدعاية، د. عبد اللطيف حمزة، دار الفكر العربي، القاهرة, ط2 ، 1958 .
5- الإعلام واللغة، د. محمد سيد محمد (سلسلة البحوث الاعلامية1) عالم الكتب, القاهرة 1984 .
6 - بحـوث لغوية، د. أحمد مطلوب، عمان .1987
7- البلاغة عند الجاحظ, د. أحمد مطلوب, دار الحرية للطباعة- بغداد 1983
8- البيان والتبيين, الجاحظ. الشركة اللبنانية للكتاب 1968 0
9- التركيب اللغوي للأدب, د. لطفي عبد البديع, مكتبة النهضة المصرية , ط 1970 .
10- التعريفات،لأبي الحسن الجرجاني , الدار التونسية للنشر 1971 .
11-الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري , د. احمد كمال زكي , دار المعارف- مصر 1971 .
12-الخصائص، لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار, دار الهدى- بيروت, ط2 (ب ت).
13- الخطابة لأرسطو ت/ عبد الرحمن بدوي, دار الشؤون الثقافية, بغداد 1986 .
14-دراسات في فلسفة النحو والصرف, د. مصطفى جواد، مطبعة أسعد، بغداد 1986.
15- دلائل الإعجاز في علم المعاني – الجرجاني, منشورات دار المعرفة- بيروت, ط2 ,1978.
16-دلائل الألفاظ, د. إبراهيم أنيس, مطبعة لجنة البيان العربي-القاهرة ط2, 1963 .
17- سر الفصاحة, لابن سنان الخفاجي (دراسة وتحليل) د0 عبد الرزاق أبو زيد.مكتبة الانجلو المصرية 1976 .
18- الصبغ البديعي في اللغة العربية, د. احمد إبراهيم موسى, دار الكاتب العربي- القاهرة 1969.
19-الصحافة العربية، نشأتها وتطورها, أديب مروة, دار مكتبة الحياة- لبنان.ط1, 1961.
20- العنوان الصحفي , فتحي خليل (السلسلة المهنية مؤسسة بترا- بيروت 1982 .
21-فقه اللغة, د. علي عبد الواحد وافي, دار نهضة مصر ,ط7, 1972 0
22- الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف, دار المعارف- مصر، ط4 ,1965 .
23- 24- في النحو العربي (قواعد وتطبيق) د. مهدي المخزومي، مطبعة مصطفى البابي، القاهرة، ط1966،1 .
25-في النحو العربي(نقد وتوجيه) د. مهدي المخزومي, منشورات المكتبة العصرية- بيروت, ط1, 1964.
26- اللغة ،ج فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي- القاهرة 1950.
27- المدخل إلى وسائل الإعلام ,د. عبد العزيز شرف, دار الكتاب المصري- القاهرة, ط1, 1980 .
28- مدخل في علم الصحافة , د. عبد العزيز الغنام, جـ1, دار النجاح- بيروت 1974 .
29- المصطلح النقدي في نقد الشعر (دراسة لغوية تاريخية نقدية) إدريس الناقوري، المنشأة العامة للنشر – ليبيا، ط2، 1984 .
30- مفاهيم في الفلسفة والإجتماع، أحمد خورشيد النوره جي، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد .1990
31- المقدمة (تاريخ العلامة ابن خلدون), دار الكتاب اللبناني،بيروت، ط (3)1967.

32- من قضايا اللغو والنحو، علي النجدي ناصف، مكتبة نهضة مصر- القاهرة 1957.
33-مهارات الإتصال في اللغة العربية،د.سمر روحي الفيصل،ود.محمد جهاد جمل،ط(1) منشورات دار الكتاب الجامعي- العين(الإمارات العربية المتحدة).2004
34-نحو وعي لغوي, د. مازن المبارك, مؤسسة الرسالة – بيروت , 1967
35- النقد الأدبي، احمد أمين، دار الكاتب العربي- بيروت، ط4" 1967.
36-النقد الأدبي الحديث, د. محمد غنيمي هلال, دار الثقافة – دار العودة- بيروت 1973 .

ثانياً: البحوث والدراسات:

1- الاتصال.. مفهومه, نظرياته, عوائقه, متطلباته, الدكتور سمير محمد حسن , (من بحوث الدورة العربية الرابعة للبحوث الإذاعية والتلفزيونية- الرباط 1983) منشورات المكتب العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين- بغداد.
2- الأسلوبية بين التراث والمعاصرة ، د. محمد كاظم البكاء (من بحوث مهرجان المربد الشعري التاسع – بغداد 1988).
3- الأسلوبية إلى أين ؟ د. احمطلوب,ب , مجلة المجمع العلمي العراقي 3 مجلد 39 .
4- الإعلام واللغة، د.محمد عبد المطلب البكاء (بحث مقدم إلى ندوة تجربة التدريس الإعلامي في بلدان المغرب العربي)- المعهد العالي للصحافة- الرباط 1987، والمنشور في مجلة (الموقف) المغربية العدد الفصلي 3 (أيلول 1987).
5- الإعلام ولغة الحضارة، عبد العزيز شرف، مجلة اللسان العربي 1 المجلد 11- الرباط- المغرب 1974.
7- الفارابي وآراؤه اللغوية في كتاب الحروف, د. عدنان محمد سلمان , مجلة المورد 1, المجلد 18, 1989 .
8- من خصائص اللغة العربية ، د. أحمد مطلوب (من بحوث ندوة اللغة العربية والوعي القومي- بغداد).
9- مناقشة ماجد السامرائي في (ندوة اللغة العربية والوعي القومي) مصدر سابق